محمد عبده المغاوري



مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله مقلب الليل على النهار عالم الأسرار أعد النار للفجار والجنة للأبرار ما ضلَّ من تمسك بكتابه وعمل به وبسنة حبيبه محمد ﷺ حتى آتاه اليقين وقبض وهو متمسك بالدين ففاز ولحق بالصالحين فى جنات النعيم عند رب العالمين .

وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

أما بعد :

فيا أخى المسلم الحبيب فى كل مكان على وجه الأرض أحذرك ونفسى من اتباع خطوات الشيطان ونسيان ذكر الرحمن وأذكرك ونفسى بقول المولى عز وجل ﴿ **قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجدُ أكثرهم شاكرين * قال اخرج منها مذءوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** ﴾[1] أى أنك إذا انتبهت قليلاً أخى المسلم وجدت أنها حرباً دائرة بيننا وبين إبليس عليه لعنة الله إذ أنه توعد منذ بداية الخليقة بإغواء البشر والجلوس لهم أمام كل طريق يؤدى إلى رضا المولى عز وجل ولكنها للأسف حرب غير متكافئة نوعًا ما إذ أن الخصمان أحدهما وهو إبليس عليه لعنة الله يعمل ليل نهار على ضلال عباد الله ويتفنن ويجتهد فى تحسين مكائده وتكثير طرقه بينما نحن إلا من رحم ربى فى نوم عميق لا نفكر كيف نواجه ذلك

(١) الأعراف : ١٦ – ١٨ .

الملعون وكيف نغلق عليه الأبواب حتى لا ينال منا ما ناله من أبينا آدم عليه السلام من قبل ولعلى أدعم ذلك القول بكلام الله عز وجل حيث قال المولى عز وجل فى كتابه العزيز : ﴿ **يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيلة من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** ﴾[1].

لذلك أخى القارىء العزيز شرعت بأمر الله عز وجل فى كتابة هذا الكتاب المتواضع راجياً من الله عز وجل أن يتقبله منى وينفع به أمة الإسلام والمسلمين وسأحاول جاهداً وراجياً من المولى عز وجل التوفيق فى أن أستعرض سريعاً طرق إبليس عليه لعنة الله ومحاولاته ومداخله وأبوابه التى يدخل من خلالها إلى ابن آدم وسيكون عرضنا إن شاء الله من خلال الكتاب والسنة و ...... **حوار مع إبليس** .

المؤلـف

---

(١) الأعراف : ٢٧ .

تمهيد

إن المسلم الحقيقى ذو العقل الرشيد والفكر السديد الذى يرجو لقاء ربه ويريد ثواب الآخرة والفلاح فى دنياه يجب عليه أن يكون دائم الحذر من إبليس وجنده فإن إبليس عليه لعنة الله لا يقصر فى أعماله الملعونة فيجب على المؤمن أن يكون دائم الحذر من أفعال ذلك الملعون هذا هو شأن المسلم الحقيقى ولعلى أسوق إليكم تلك المقولة التى أرجو من الله أن نعمل بها وهى : (**إن المسلم خالى من الفتن إن كان يقظاً لأفعال إبليس**) ولعل تلك المقولة قد رُشحت وعُضدت بقول المصطفى ﷺ : « **إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن فى التحريش**[1] **بينهم** »[2]. أى أن إبليس عليه لعنة الله لا يستطيع أيها الأحباب أن يقود شخصاً مرة واحدة إلى الكفر ولكنه والعياذ بالله يضع الفتن وينشر البغضاء ويفتح أبوابه على مصراعيها لعباد الله حتى يضلوا ويحيدوا عن الطريق المستقيم ولعل الكثير يسأل وما الفائدة التى تعود على إبليس إن فرق جمع المسلمين ؟ نقول وبالله التوفيق إنه إن فرق صفوف المسلمين نال مطلبه وذلك لأنه سيستطيع بعد ذلك أن يجتهد على كل فرد وحتى يكون كلامنا مدعم ولا يظن البعض أنه استنتاج عقلى نذكر حديث المصطفى ﷺ : « **إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناه منه منزلة أعظمهم فتنة .... يجىء أحدهم فيقول ما تركت حتى فرقت بينه وبين امرأته ..... فيلتزمه ويقول نعم أنت** »[3] أى أن أحب وأقرب جندى إلى قلب إبليس هو ذلك الجندى الملعون الذى يستطيع أن يفرق بين المرء وزوجه ولعل هذا الحديث خير دليل على أن فتنة التفرقة أشد فتنة فإن الإنسان إذا ما كان بمفرده استطاع إبليس عليه لعنه الله أن يتلاعب به ويحاول معه باجتهاد دون تقصير لذلك أحباب المصطفى ﷺ يجب علينا أن ننتبه ونفيق ونستيقظ من غفلتنا ونقاوم إبليس عليه لعنة الله ولعل تلك المقاومة لا تنشأ

---

(١) التحريش : أن يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والفتن .

(٢) انفرد بها البخارى رواية جابر رضى الله عنه مرفوع عن المصطفى ﷺ .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

وتنمو وتترعرع إلا إذا استطعنا أن ندرك ونعلم مكايده ووساوسه وطرقه الكثيرة المتعرجة فنقطعها عليه ولعل هذا الكتاب المتواضع يستطيع أن يؤدى إلى كل مسلم الطريقة المثلى لقطع الطرق على إبليس ويتناول هذا الكتاب المتواضع طرق إبليس مع كيفية المواجهة وطرقه التى هدانا الله إلى معرفتها هى أربعة طرق :

١ - تصغير الذنب أو بمعنى آخر تحقير أمر المعصية .

٢ - تزيين الشر وتقبيح الخير .

٣ - خلط الفكرة .

٤ - نسيان الحقائق الكبرى .

ولعلى استطيع أن أشرح لكم أيها الأحباب هذه الطرق الأربعة وكيفية مواجهة إبليس عليه لعنة الله فى كل طريقة من تلك الطرق راجياً من المولى عز وجل أن يتقبل منى هذا العمل المتواضع وأن ينفع به المسلمين أجمعين .

أخيراً أسأل الله لى ولكم الهداية إلى الصالح من العمل .

المؤلف

محمد عبده المغاورى

البابُ الأول

اعرف عدوك

من هو إبليس ؟ قبل أن أبدأ بفضل الله عز وجل في كتابى المتواضع هذا فإنى أعتقد أنه لابد أن نعرف من سنحاوره وذلك لأنى أرى كثيراً من الناس يظنون ويعتقدون اعتقاداً خاطئاً وهو أن كلمة إبليس تساوى كلمة شيطان ولا فرق بينهما لذلك فإنى رأيت بفضل الله عز وجل أن نوضح من هو إبليس ؟ وما الفرق بينه وبين الشياطين ؟

إبليس هو :- نفر من الجن كان يسكن فى منطقة تدعى الجزائر وكانت تلك المنطقة على سطح الأرض وكان معه نفراً كثيراً من الجن فأفسدوا فى الأرض فنزلت الملائكة فقاتلتهم وأسرت منهم ومن ضمن الذين أسرتهم إبليس الذى ما إن صعد إلى السماء حتى استغفر الله وعبده فأصبح رئيساً لملائكة السماء الدنيا وكان يعرف باسم **« عزازيل »** وهذا باللغة السريانية أما باللغة العبرية فاسمه **« الحارث »** وكان من المقربين إلى الله عز وجل فلما جاءت عملية السجود لآدم عليه السلام عصى إبليس وتكبر فصار شيطاناً رجيماً[1] ما الفرق بينه وبين الشيطان ؟ الشيطان هو كل متمرد عاصى من الإنس أو الجن حتى الدواب أيضاً لذلك لوحظ عند العرب أن كلمة شيطان تطلق على **« الحيّة »** .

نلاحظ من خلال القول السابق أن إبليس شيطان لأنه تمرد وعصى أما الشيطان فليس إبليس لأن إبليس لفظ خاص على نفر خاص من الجن اسمه **« عزازيل »** الذى تقدم ذكره ووضحنا أمره بفضل الله عز وجل . وأيضاً كل إنسان معه شيطان ولكن كل إنسان لا يوجد معه إبليس وهذا دليل قد ورد فى حديث انفرد به مسلم (أن عائشة زوج النبى ﷺ حدّثت أن رسول الله خرج من عندها ليلاً . قالت : ففرت عليه ، فجاءه فرأى ما أصنع فقال : **« مالك يا عائشة أغرت ؟ »** فقالت : ومالى لا يغارُ مثلى على مثلك فقال :

---

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير .

« **أوجاءك الشيطان ؟** » قالت : : يارسول الله أومعى شيطان ؟ قال : « **نعم** » قالت : ومع كل إنسان ؟ قال : « **نعم** » قالت : ومعك يارسول الله ؟ قال : « **نعم ولكن ربى عز وجل أعاننى عليه حتى أسلم** ») وأظن أن بهذا الحديث وما سبقه من كلام نستطيع أن نقول بفضل الله عز وجل أن هناك فرقًا بين كلمة إبليس وكلمة شيطان ولكن من سنحاوره ويكون محور حديثنا إن شاء الله هو إبليس عليه لعنة الله .

وبعد أن أوضحنا من هو نستطيع أن نقول ما صفاته ؟ وما وظيفته ؟ وللرد على هذا السؤال نجيب قائلين بفضل الله عز وجل أن صفات إبليس الكبر والغرور والعجب بالنفس أو نستطيع أن نقول كل صفة من الصفات الخبيثة غير الطيبة متوفرة فيه عليه لعنة الله والدليل على ما نقول قول المولى عز وجل : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾[1] فقد أوضحت الآية الكريمة الغرور والعجب بالنفس والكبر ثم ختم المولى عز وجل الآية الكريمة بكلمة شاملة جامعة ﴿ **وكان من الكافرين** ﴾ أى أن كل قبيح توافر فيه حيث أن أقبح الأشياء وهو الكفر متوافر فيه فكيف يتوافر فيه أقبح الأشياء ولا يتوافر فيه الأشياء الأخرى والرذائل .

وظيفته : إن وظيفة إبليس عليه لعنة الله قد أوضحها المولى عز وجل فى قوله العزيز : ﴿ **قال أنظرنى إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين * قال اخرج منها مذءوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** ﴾[2] ومن هذه الآية الكريمة التى أجمع العلماء على أن تفسيرها هو توضيح وظيفة إبليس ألا وهى الإغواء والضلال فإنه يسلك مع ابن آدم كل المسالك التى تقود إلى الضلال وتدفع به إلى الهاوية .

---

(١) البقرة – ٣٤ .

(٢) الأعراف : ١٤ – ١٨ .

المدرسة الإبليسية

إن لإبليس مدرسة عظيمة وهائلة تضم عدداً لا بأس به من الشياطين يتتلمذون على يده وإذا عجز أحدهم على أمر عاد إلى المعلم الأكبر والأستاذ الأوحد ذى الشأن المبجل إبليس عليه لعنة الله وقد علمهم فى تلك المدرسة دروساً عظيمة الضرر لابن آدم وهذه الدروس صالحة فى كل زمان ومكان لإغواء العبيد وسنحاول بأمر الله عز وجل أن نعرض تلك الدروس الإبليسية التى تلقتها الشياطين على يد الأستاذ الأوحد لهم إبليس عليه لعنة الله على هيئة حوارات دارت بين إبليس والشياطين .

الحوار الأول

الدرس الأول :- (**لا تيأسوا**) إن إبليس عليه لعنة الله من ضمن دروسه التى يهتم بتعليمها عدم اليأس وقد روى أنه لمَّا وُلِدَ عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا : أصبحت الأصنام قد نكست رءوسهم فقال : هذا حادث (أى أمر جديد) مكانكم فطار حتى أتى خافقى الأرض فلم يجد شيئاً ثم وجد عيسى ابن مريم عليه السلام قد وُلِدَ والملائكة حافين به فرجع إليهم ليعلمهم الدرس الأول قائلاً : (إن نبياً قد وُلِدَ البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا أن تُعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن آتوا بنى آدم من قِبل العجلة والخفة)[1].

فيا الله على ذلك الدرس الذى علمه إبليس للشياطين الملاعين إنه درس عظيم الضرر علمه من خلاله أن لا تيأسوا من ابن آدم مهما كان الأمر وحاربوه بكل الطرق والوسائل فإن اليأس لا يولد إلا الفشل ولكن آلزم طريق العجلة والخفة وكل طريق يقوده إلى المعصية ولا بأس إلا أن توقعه فى المعاصى حتى يصل إلى الكفر .

---

(١) إحياء علوم الدين لابى حامد الغزالى ، المجلد الثالث .

الحـوار الثانى
لا تستصغروا أمراً

الدرس الثانى الذى يعلمه إبليس للشياطين هو « **ادخلوا من أى طريق ولا تتركوا أى طريقة** » ولقد قرأت فى هذا : أنه رأى رجلاً يجلس بجوار جدار أوشك على السقوط فانتشل الرجل من يده بعيداً عن هذا الجدار الذى سقط بعد هذا مباشرة ففرح الرجل له ثم يقبل عليه شاكراً له هذا الإنقاذ الذى كتب له بسببه النجاة ثم يسأله من أنت ؟ فيقول له أنا إبليس ! فيتعجب الرجل الذى كاد أن يصعق بسبب هذا ثم يقول لإبليس ولماذا أنقاض هذا الجدار[٢]؟ قال إبليس : وكيف أتركك تموت أأدعك حتى تكون شهيد هدم وتدخل الجنة ! لا .

يا الله على هذا الدرس لا يترك الرجل يموت حتى لا يكون شهيد هدم ويعلم الشياطين من ورائه قائلاً لهم لا تتركوا لابن آدم طريقاً ينجو به ويدخل من خلاله الجنة حتى لو اضطررتم إلى انقاذه من الهلاك وهذا لكى توقعوه فى الهلاك الأكبر ألا وهى المعصية .

الحـوار الثالث
عليكم بالعباد ولا ترهقوا أنفسكم مع العلماء

الدرس الثالث : هذا الدرس لقنه إبليس لمن حوله من الشياطين الذين يتتلمذون على يده ونقله لنا ابن عباس رضى الله عنهما قائلاً : إن الشياطين قالوا لإبليس : يا سيدنا إنا نفرح بموت العالم مالا نفرح بموت العابد والعالم لا نصيب منه والعابد نصيب منه .

قال إبليس : انطلقوا ؛ فانطلقوا إلى عابد وأتوه فى عبادته فقالوا : نريد أن نسألك فقال إبليس : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا فى جوف بيضة ؟ فقال العابد لا أدرى فقال إبليس للشياطين : أترونه كفر فى جوابه ؟ وأجاب إبليس ليعلمهم قائلاً لقد كفر العابد شك فى قدرة الله . ثم جاء إلى رجل عالم فى خلق يضاحك أصحابه فقالوا : إنا نريد أن نسألك فقال : سل فقال له إبليس : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا فى جوف بيضة قال نعم . قال إبليس

(١) مكائد الشيطان / طه عبد الله العفيفى .

وكيف ؟ قال العالم : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾[1] فانطلق إبليس خائب الرجا وهو يقول هكذا العلماء يفسدون علينا كل الطرق . وقال إبليس للشياطين : أترون ذلك « **أى العابد** » لا يعدو نفسه « **أى لا ينفع نفسه** » وهذا « **أى العالم** » يفسد على عالماً كثيراً أى أن العابد سهل الوقوع فى طرق إبليس حتى وإن نفع فإنه لا ينفع إلا نفسه أما العالم فهو ذو نفع عظيم سواء لنفسه أو للآخرين من بنى آدم وهو من أكثر الناس تعطيلاً لإبليس ويكرهه إبليس كرهاً لا حدود له .

حوار إبليس مع الشيخ عبد القادر الجيلانى

قال الشيخ عبد القادر رحمه الله : اشتد على الحر فى بعض الأسفار يوماً حتى كدت أن أموت عطشاً فظللتنى سحابة سوداء وهب على منها هواء بارد حتى دار ريقى فى فمى وإذا بصوت ينادينى منها : يا عبد القادر أنا ربك فقلت له : أنت الله الذى لا إله إلا هو ؟ قال : فنادانى ثانياً فقال يا عبد القادر أنا ربك أحللت لك ما حرمت عليك قال : فقلت له بل أنت إبليس قال فتمزقت تلك السحابة وسمعت من ورائى قائلاً : يا عبد القادر نجوت منى بفقهك فى دينك ، لقد فتنت قبلك بهذه الحيلة سبعين رجلاً .

وقيل للشيخ عبد القادر : كيف عرفت أنه إبليس ؟ قال : بقوله أحللت لك المحرمات لأنه بعد رسول الله ﷺ لا تحليل ولا تحريم . قال العلماء : الشيخ عبد القادر ما أُنقذ من مصيدة إبليس إلا ببركة الله وفضل الفقه فى الدين وأن العالم حقاً لشديد على الشيطان وأخيراً فنختم مدرسة إبليس بمن تخرجوا من هذه المدرسة إلى ميادين العمل ؟ قال مجاهد « لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره : مثبر والأعور ، مبسوط داسم زلنبور »[2].

فأما مثبر : فهو يحمل الشهادة الإبليسية « متخصص فى المصائب وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية » .

وأما الأعور : فهو يحمل الشهادة الإبليسية « متخصص بالزنا وتزيينه للناس » .

---

(١) يس : ٨٢ . **(٢) إحياء علوم الدين / لأبى حامد الغزالى .**

وأما داسم : فهو يحمل الإجازة الإبليسية « بالتخصص فى علم الغضب ووقوع الزوجين مع بعضهما » .

وأما زلنبور : فهو يحمل الشهادة الإبليسية « صاحب السوق » .

وهناك أيضاً تلاميذ تخرجوا من المدرسة الإبليسية أمثال « خنزب » **شيطان الصلاة** « الولهان » شيطان الوضوء وهناك تلاميذ أخر تخرجوا من تلك المدرسة ولكن ما النتائج التى **تحققها** تلك المدرسة ؟ إن نتائجها أن تخرج شياطين لإغواء بنى آدم أما من الآخر فإن نتائجها هو ما نسميه خطبة إبليس .

خطبة إبليس

إن خطبته تكون يوم القيامة حيث يجتمع حوله أهل النار يلومونه فيقول لهم : **﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾** أى البعث والجزاء والحساب **﴿ووعدتكم فأخلفتكم﴾** أى وعدتكم بما هو غير كائن ألا قد وعدتكم بشىء فلا قدره لى اليوم أن أوفيكم بما وعدتكم من فوز ونعيم **﴿وما كان لى عليكم من سلطان﴾** أى ما كان لى عليكم من قوة وقدرة أقهركم بها على متابعتى والتلمذة على يدى والعمل على رضائى **﴿إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم﴾** أى لم يكن لى عليكم سلطان أو قوة فكل ما فعلته هو الدعوة ولم أقهركم على ما فعلتم فلا توبخونى ولا تلومونى **﴿ما أنا بمصرخكم﴾** أى بمنقذكم من العذاب **﴿وما أنتم بمصرخى﴾**[1] أى من العذاب .

انتهت مدرسة إبليس فى النار والعياذ بالله من إبليس وجنده ومدرسته التى يعلم فيها كيفية محاربة ابن آدم ولكن لإبليس أيضاً أشياء لا تنسى قد كتبها وسطرها لنا علماء التاريخ وعلماء السلف الصالح ألا وهى نصائحه التى كتبها التاريخ من خلال حوار إبليس مع الأنبياء وهذه النصائح نوضحها ونبينها ونذكر منها الحوارات التى دارت بين إبليس والأنبياء وعلماء السلف .

---

(١) سورة إبراهيم - ٢٢ .

نصائح إبليسية

الحوار الأول (مع نوح عليه السلام)

روى أن نوح عليه السلام لما ركب فى السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى فى السفينة شيخاً لم يعرفه فقال له نوح : ما أدخلك ؟

قال إبليس : دخلت لأصيب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك فقال نوح عليه السلام : أخرج منها يا عدو الله فإنك لعين . فقال إبليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين .

فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاثة فليحدثك بالاثنتين .
فقال نوح : يا إبليس حدثنى بالاثنتين واترك الثلاثة .

فقال إبليس : هما اللتان لا تكذبانى هما اللتان لا تخلفانى بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وأصبحت شيطاناً رجيماً وأما بالحرص فإنه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتى منه بالحرص .

(١) الحسد : أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتنمى أن تزول عنه وتكون له دونه .

(٢) الغبطة : أى يتمنى الشخص أن تكون له النعمة مع عدم زوالها من الشخص الآخر . والأول مذموم والثانى محمود نظراً لقول المصطفى ﷺ :
« لا حسد إلا فى اثنتين : رجل أتاه الله مالاً وسلطه على هلكته فى الحق ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس » .

(٣)الحرص : شدة الإرادة والشره إلى المطلوب . إذاً فالنصيحة الأولى من إبليس (إياك ابن آدم أن تقع فى اثنتين الحرص والحسد) .

الحوار الثانى

(مع يحيى بن زكريا عليهما السلام)

روى أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى يحيى عليه السلام عدة معاليق على إبليس من كل شىء فقال له يحيى عليه السلام : يا إبليس ما هذه المعاليق ؟

قال إبليس : هذه الشهوات التى أُصيب بها ابن آدم .

قال يحيى عليه السلام : هل لى فيها شىء ؟

قال إبليس : ربما شبعت فشغلناك عن الصلاة وعن الذكر .

قال يحيى عليه السلام : لا قال لله على أن لا أملأ بطنى من الطعام أبداً .

قال إبليس : ولله على أن لا أنصح مسلماً أبداً »[1].

وهناك كانت النصيحة الثانية من إبليس إلى ابن آدم ألا وهى « **أن لا تشبع أبداً** » وعلينا بالاقتصاد فى الطعام وعدم الاسراف . قال علماء السلف : وللأكل والإكثار منه ست خصال مذمومة :

أولهم : يذهب خوف الله من القلب . **الثانى** : أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظنهن أنهم كلهم شباع . **الثالث** : يثقل الطاعة فما من وعاء امتلأ قصا إلا وثقل وقلت حركته . **الرابع** : إنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد لها رنة ولا يصغى لحكمة الآذان . **الخامس** : أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع فى قلوب الناس . **السادس** : أن يهيج فيه الأمراض .

هذا هو تفسير علماء السلف الصالح لعلة قلة الطعام وأظن أنها كانت نصيحة غالية من إبليس عليه لعنة الله ولقد ندم بعد أن أعطاها لابن آدم ولكن لا بأس فإن حيله وألاعيبه كثيرة لا حصر لها ولا عدد وإن كنا علمنا تلك النصائح فهو لازال يحمل من المكائد الكثير والكثير .

وأخيراً أخى القارىء العزيز أختم هذا الحوار بقول لطيف جميل قاله لقمان الحكيم : « **إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرجت الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة** » .

---

(١) إحياء علوم الدين / لأبى حامد الغزالى .

الحـــوار الثالث

(مع موسى عليه السلام)

روى أنه بينما موسى عليه السلام جالس فى بعض مجالسه إذ أقبل إبليس عليه لعنة الله عليه برنس[1] له يتلون فيه ألوانًا لما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه ، فقال إبليس : السلام عليك يا موسى .

قال موسى عليه السلام : من أنت ؟. قال إبليس : أنا إبليس .

قال موسى عليه السلام : فلا حياك الله ما جاء بك ؟

قال إبليس : جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانتك منه .

قال موسى عليه السلام : فما الذى رأيته عليك ؟

قال إبليس : به اختطف قلوب بنى آدم .

قال موسى : فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه ؟

قال إبليس : إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذرك ثلاثاً :

(١) لا تخلون بامرأة لا تحل لك قط ، فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها .

(٢) ولا تعاهد الله عهداً ألا وفيت به فإنه ما عاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء به .

(٣) ولا تخرجن صدقة إلا وأمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين إخراجها .

وأظن أن تلك النصائح السابقة عظيمة النفع ولكن لمن عمل بها وآستمسك على أن يحافظ عليها حتى لا يدع إبليس عليه لعنة الله يستخدم معه هذه الأساليب السابقة التى أهداها إلى موسى عليه السلام ولعلنا أحباب المصطفى ﷺ نسأل : هل ينصحنا إبليس هكذا ويوضح لنا طريقة بكل تلك السهولة ؟ والإجابة لا فإن إبليس عليه لعنة الله يوضح طريقة ويخفى كثيراً من الطرق يعرفنا مكيدة ويخفى ألف مكيدة ينبئنا عن مصيدة وينصب ألف مصيدة ولنضرب لذلك أمثالاً على هيئة حوارات مع إبليس عليه لعنة الله .

---

(١) البرنس هو كل ثوب ريشه منه ملتزق من زراعة به وقد شاع استعماله فى المغرب .

مصايده ومن ينتبه لها

(عدد من الحوادث مع الأنبياء والصالحين)

حواره مع عيسى عليه السلام

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الشيطان لقى عيسى عليه السلام على عتبة بيت المقدس فقال له : يا ملعون : أخبرني ما الذى صنعته بأمة موسى : فقال : سولت لهم اليهودية : قال ما تصنع بأمتي قال : آمرهم أن يتخذوك إلهاً قال : ما تصنع بأمة محمد ؟ قال : هيهات لا سبيل لى عليهم ولكنى أحببت إليهم الدنانير والدراهم حتى تكون عندهم أشهى من قول لا إله إلا الله .

ونحن بعد هذه القصة نستطيع أن نقول أن إبليس مخادع كبير فهل هو حق له مع أمة محمد ﷺ حب الدراهم والدنانير فقط لا فإنما أراد أن يظهر تلك المصيدة ويخفى ما يقود إليها فإن الحقد يقود إلى الدرهم وأن المرأة تقود إلى الدرهم وأن جوع الولد يقودك إلى سرقة الدرهم وحبه ولكنه عليه لعنة الله لا يظهر مصايده ولكنه يظهر المصايد المشهورة ويخفى الكثير والكثير من المكائد والمصايد .

كلام وهب بن منبه عن الدراهم

وأيضاً قال وهب بن منبه : لما ضُرِبت الدراهم والدنانير حملها إبليس فقال لها سلاحى وقرة عينى وقرة قلبى بكما أغوى وبكما أطغى وبكما أكفر بنى آدم وبكما يستوجب ابن آدم حبى ثم يقول وهب : فالويل ثم الويل لمن آثرهما على طاعة الله فهل نصدق أحباب المصطفى ﷺ هذا الكلام ؟ من رأيى لا ولأستشهد على رأيى بحديث المصطفى ﷺ : « **أخوف ما أخاف على أمتى من بعدى النساء** » صدقت يا رسول الله ﷺ فإن المرأة تدفعك إلى الدرهم ولكن إبليس يخفى ويعلن . يعلن ما نريد أن نعلمه نحن ويخفى من المصايد ما لا حصرر لها ولا عدد . ومن المكائد الألوف وننظر إلى الفطناء الذين تنبهوا إلى تلك المسألة .

حواره مع يحيى بن زكريا عليهما السلام

قال وهيب : بل ابن الورد : بلغنا أن إبليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال : إني أريد أن أنصحك ؟ قال : لا حاجة لى فى نصحك ولكن أخبرنى عن بنى آدم قال : هم عندنا ثلاثة أصناف .

الصنف الأول : هم أشد الأصناف علينا نقف على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركناه منه ثم نعود إليه فيعود فلا نحن نيأس ولا نحن نملك منه حاجاتنا فنحن منه فى عناء « **أى تعب** » .

الصنف الثانى : فهم فى أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم نقلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم . أنفسهم .

الصنف الأخير : فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء .

والعبرة من هذا الحوار قول يحيى عليه السلام « **لا حاجة لى فى نصحك** » فقد تنبه يحيى عليه السلام أن اللئيم لا يعطى دواءا ولا نصيحة فهل ينصح الثعلب فريسته .

حوار مع عيسى ابن مريم عليه السلام

روى أن إبليس عليه لعنة الله ظهر لعيسى عليه السلام فقال له ألم يَقُلْ ربك أنه يمسك الأرواح متى يشاء ويحفظها بأمره إذاً فألقى نفسك من فوق هذا الجبل والله عليه أن يحفظك فقال له عيسى عليه السلام : انطلق عليك لعنة الله فإن الله يمسك الأرواح وهو مسبب الأسباب وإن لكل شيء سبباً فلا أريد أن أموت بسبب يدفعنى إلى النار .

وروى أيضاً أن إبليس عليه لعنة الله تمثل لعيسى ابن مريم فقال له قل : لا إله إلا الله فقال عيسى ابن مريم عليه السلام : كلمة حق ولا أقولها بقولك .

(قال العلماء فى تفسير هذا الحوار أن لإبليس عليه لعنة الله تلبيسات تحت الخير وتلبيسات إبليس من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء

والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض فى المعاصى المكشوفة)[1]. لذلك أحباب المصطفى ﷺ أردت بفضل الله عز وجل وبرحمته أن أخبركم ببعض تلك التلبسات التى علمها إبليس عليه لعنة الله للشياطين فى المدرسة الإبليسية عظيمة الخطورة وذات الضرر الشديد بابن آدم وهذه الأربعة طرق التى سنبينها إن شاء الله إذا أفلح تلاميذ إبليس فى الدخول من خلالها هلك ابن آدم ووقع فى المعصية لا محالة وهذه الأربعة طرق هى :

[١] تحقير الذنب .

[٢] تزيين الشر وتقبيح الخير .

[٣] مخالطة الفكرة .

[٤] نسيان الحقائق الكبرى .

(١) إحياء علوم الدين .

الباب الثاني

الفصل الأول

طريقته فى تحقير الذنب

إن إبليس عليه لعنة الله إذا أراد أن يفتن إنسان ملتزم لا يستطيع أن يوسوس له بالزنا والقتل والسرقة فإنه ليس بهذا الغباء الذى نظنه ولكنه من مكره ودهائه يعطى المقدمات إلى تلك الوساوس حتى يوقع الإنسان فيها وتلك المقدمات للأسف لا تذكر فى الحسبان بل ولا يلقى ابن آدم لها بالا ويظن أنها من الأمور الصغيرة ولكن أما آن لنا أن ندرك أن الصغائر تقود إلى الكبائر وحتى يكون الكلام واضحاً لا غموض فيه نطرح الأمثلة التى نراها فى حياتنا المعاصرة . وليكن على سبيل المثال مقدماته (أى إبليس عليه لعنة الله) فى عملية الزنا ... إن مقدماته فى عملية الزنا تكون من خلال النظرة فيوضح لابن آدم أن النظرة ليست بالمسألة الخطيرة ولا الأمر العصيب فنظرة لا تؤثر فى ميدان العبادة وهى كما يطلق عليها شبابنا المعاصر (نظرة عابرة بريئة) إن هذا ما زينه إبليس عليه لعنة الله لابن آدم فقد حقر من شأن النظرة حتى جعلها أمراً ليس بالصعب ولا بالعصيب ولا تأثير له فى ميدان العبادة ثم يتطرق إبليس عليه لعنة الله بدهائه وذكائه إلى مداعبة فكرك قائلاً لك : لك الأولى وعليك الثانية هكذا قال المصطفى ﷺ . وحتى نبين دهاءه وذكاءه وحيله البارعة نذكر نص الحديث : قال رسول الله ﷺ : « يا على لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وعليك الثانية »[1] فالدهاء هنا هو أن إبليس عليه لعنة الله أفهمنا ذلك الحديث فهماً خاطئاً يخالف فهم وأقوال السلف الصالح فقد أفهم إبليس عليه لعنة الله هؤلاء الشباب أن النظرة الأولى هى تلك النظرة التى تصدر من الشخص إلى من أمامه من النساء حتى تنصرف إلى طريق يخالف طريقه فهنا يكون إبليس قد لعب بعقل الشاب مرتين : المرة الأولى أن النظرة عابرة وبريئة والمرة الثانية أن النظرة الأولى مستمرة حتى تنصرف المرأة من أمامه ولكن وبالطبع هذا الأمر ليس فى الشريعة الإسلامية

(١) رواه الترمذى وأبو داود واللفظ للترمذى .

وإنما النظرة الأولى كما فسرها علماء السلف هى أن المرأة تخرج فجأة ، وعلى حين غفلة فتكون من أمامك وعليك أن تغض البصر وإلا كانت النظرة نظرة ثانية وأما الأمر الثانى وهو تحقير أمر النظرة نجد له بياناً واضحاً فى الرد عليه وذلك يقول المولى عز وجل : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون** ﴾[1] فقد قال المفسرون من أهل السلف الصالح فى تلك الآية وتفسيرها ما يلى :

(قل يا محمد لأتباعك المؤمنين يكفوا أبصارهم عن النظر إلى الأجنبيات من غير المحارم فإن النظرة تزرع فى القلب الشهوة ورب شهوة أورثت حزناً طويلاً .

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت فى قلب صاحبها كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والبعد مادام ذا طرف يقلبه فى أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

ويحفظوا فروجهم أى يصونوا فروجهم عن الزنا ذلك الغض والحفظ أطهر للقلوب وأتقى للدين وأحفظ من الوقوع فى الفجور وليعلموا أن الله مطلع على أعمالهم لا تخفى عليه خافية من أحوالهم) .

قال الإمام الفخر الرازى : (فإن قيل فلم قدّم غض الأبصار على حفظ الفروج ؟ « قلنا لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر ولا يكاد يحترس منه »)[2] لذلك فإن مدخل إبليس والعياذ بالله منه فى مسألة الزنا يبدأ من تحقير أمر النظرة التى أصبح كثير من المسلمين فى عصرنا هذا إلا من رحم ربى لا يلقى لها بالاً ويعدها من الصغائر وهى فى الحقيقة أمر عظيم ولكن إبليس عليه لعنة الله قد حقر من شأنه حتى ينال من ابن آدم ويجعله يقع فى المحرمات وسريعاً أحباب المصطفى ﷺ نختم الباب بالدليل على مسألة تحقير الذنب والتصغير من شأن المعصية حتى لا يكون كلامنا السابق استنتاجاً بدون أدلة شرعية .

---

(١) سورة النور : آية رقم (٣٠)

(٢) التفسير الكبير ٢٣/٢٠٥ .

الدليل على أن إبليس يسلك مع ابن آدم طريق تحقير الذنب قال رسول الله ﷺ : « **إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلك** »[1].

ومعنى الحديث أن من يحقر الذنب ولا يلقى له بالاً يقع فيه أكثر من مرة حتى يعظم أمر الذنب ويتضخم فيرهق صاحبه ويوقعه فى المحظور ولعل هذا الحديث النبوى الشريف قد أوضح وبين فعل أمر النظرة التى قد تكلمنا عليها من قبل فإن النظرة صغيرة ولكنها إن تكررت كانت كبيرة وذلك لأنها تقود إلى طريق الزنا وترهق الإنسان وتجعل فكره مشغولاً عن عبادة الرحمن ولعل هذا ما فسره لنا الإمام ابن القيم فى كتابه الداء والدواء حيث قال (والنظر أصل عامة الحوادث التى تصيب الإنسان فإن النظرة تولد الخطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة إرادة ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولابد مالم يمنعه مانع) .

ولعل الحديث النبوى الشريف وقول الإمام ابن القيم قد أوضح لنا مسألة تغيب عن ذهن الكثير منا وهى مسألة التدرج إذ أن إبليس عليه لعنة الله يتدرج فى طريقه وذلك بأن يبدأ أولاً بالمقدمات ثم يشغل فكرك ثم يقلل من عمل ذهنك ثم يقوى عزمك على المعصية ومسألة التدرج ليست بالمسألة الأساسية فى هذا الباب ولكنها ذكرت لكى توضح لنا لماذا يحقر إبليس من شأن بعض الأمور حيث أنه يحقر حتى يتدرج مع ابن آدم فى وسوسته إلى أن يوقعه فى المحظور . وهكذا أيها الأحباب أظن أن مسألة تحقيره قد اتضحت وآن لنا أن نعرف بأمر الله عز وجل كيف نغلق على إبليس عليه لعنة الله هذا الباب .

---

(١) رواه أحمد بسند صحيح جـ ١٠/ص ٢٢٨ رواية أنس بن عياض .

الفصل الثانى

كيفية قطع الطريق على إبليس عليه لعنة الله فى مسألة « تحقير الذنب »

إن إبليس عليه لعنة الله لا يحقر لك الذنوب إلا إذا كنت بمفردك وذلك لكى يستطيع أن يتلاعب بك كيفما يشاء وينفرد بك لكى يضعك على سلم التدرج فيحقر لك الذنب ثم يشغل به فكرك ويقلل به طاعتك ثم يوقعك فى المحظور أما لو كنت مع جمع من الناس أو بالمعنى الصحيح أما إذا كنت مع صحبة خير فهو لن يستطيع أن يقودك إلى مسألة التدرج فبالتالى لن يحقر لك ذنباً حتى يتدرج معك فيه لذلك فإن الشخص الملتزم الذى يريد أن يصيب فى دينه خيراً عليه بالتزام الجماعة فإنها تطرد الشيطان وتعين على ذكر الرحمن ولعل قولى هذا ليس من فراغ ولا باستنتاج لا أصل له وإنما استند بفضل الله عز وجل على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة فأما الدليل من الكتاب فهو قول المولى عز وجل : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾[1] أى أن أصل مسألة التقوى والعبادة التعاون . فإن الفرد إن كان بمفرده ضل ومن منا يستطيع أن يكون بمفرده طائعاً نعم الطاعة وعابداً نعم العبادة إن هذا الأمر أى – **العبادة والطاعة** – شاق على الفرد هين للجماعة وهكذا كان تفسير تلك الآية الكريمة .

وأيضاً الدليل من السنة على الجماعة ولزومها ومدى عظم شأنها بالنسبة لأنها خير مُعين على دفع الشيطان ومقاومته وكيف أنها تغلق فى وجه إبليس الأبواب حديث المصطفى ﷺ : « **أوصيكم بأصحابى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين**

---

(١) المائدة : آية (٢) .

أبعد من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن »[1] ولعل أخى المسلم هذا الحديث الطيب المثمر قد أوضح وبين وفصل مدى أهمية أمر الجماعة وكيف أنها تطرد الشيطان وترضى الرحمن وأيضاً أوضح لنا كيف أن الجماعة تدفع الفتن فقد ذكر المصطفى ﷺ قبل أن يذكر الجماعة بعض أنواع الفتن ثم أبرز لمواجهة تلك الفتن الجماعة بقوله : « **عليكم بالجماعة** » أى أن الجماعة كفيلة بأمر الله عز وجل أن تمنع الفتن وتقطع على إبليس عليه لعنة الله طرقه ولقد أردت أن أسوق لكم أحباب المصطفى ﷺ حديثاً آخر يبين أنواع كثيرة من الفتن ثم يذكر أن هذه الفتن الكثيرة تدفع وتقطع وتخيب أمل الشيطان فيها بالتزام المسلمين بالجماعة وهذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « **أيها الناس أكرموا أصحابى وأحسنوا إليهم وأحبوهم فإن خير الناس أصحابى الذين بعثت فيهم فآمنوا بالله وصدقونى وآمنوا بما جئت به من عند الله واتبعوه واعملوا به ثم خير الناس من بعدى القرن الذين يلونهم أمنوا بى يجىء من بعدهم قرن يضيعون الصلوات ويتبعون الشهوات ويدعون ما أمرتهم به ويأتون ما نهيتهم عنه يقتبسون الدين بأهوائهم ويراءون الناس بأعمالهم يحلفون ولا يُستحلفون ويشهدون ولا يستشهدون ويؤتمنون فيخونون ولا يؤدون الأمانة ويتحدثون فيكذبون ويقولون مالا يفعلون يرفع منهم العلم والحلم ويظهر فيهم الجهل والفحش ويرفع منهم الحياء والأمانة ويفشو فيهم الكذب والخيانة وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام وطول الأجل والبخل والحرص على الدنيا والشح والحسد والبغى وسوء الخلق وسوء الجوار يمرقون فى الدين كما يمرق السهم من الرمية ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس فإن سر لكم أن تسكنوا بحبوحة الجنة ونعيمها فالزموا السنة والجماعة وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وأن الله لا يجمع أمة محمد ﷺ على الضلالة أبداً ، فمن خلع الطاعة وفارق الجماعة وضيع أمر الله تعالى وخالف حكم الله لقى الله تعالى وهو عليه غضبان وأدخله النار »**[2] فيا الله على عظم أمر الجماعة برغم كل الفتن

(١) رواه أحمد والترمذى فى خطبة أمير المؤمنين عمر عن ابن عمر .

(٢) تنبيه الغافلين للفقيه ابن الليثى السمرقندى ص ٢٠٢ .

التى ذكرها المصطفى ﷺ وأخذ يعدد فيها ويبين ويفصل فيها إلا أنه ذكر أن العلاج الوحيد لزوم الجماعة وأن المفارق لها ضال وهاوى فى نار جهنم والعياذ بالله ومن هنا يتضح لنا يا أحباب المصطفى ﷺ أن الطريقة المثلى التى تقطع على إبليس طرقه أو بالتحديد- **طريقته فى تحقير الذنب** - هى لزوم جماعة المسلمين حتى لا ينفرد بنا إبليس عليه لعنة الله ويتلاعب بأفكارنا وعقولنا ولعلى أقول أن هلاك الأمة المحمدية فى نشر الفرقة بينهم والبعض يقول هلاك الأمة فى الفرقة أمر مبالغ فيه فقد أتيت بالدليل على عظم أمر الجماعة ولكن ليس لك الحق فى أن تقول أن هلاك الأمة فى الفرقة ؟ وللرد على هذا الكلام نذكر حديث المصطفى ﷺ عن حذيفة بن اليمان يقول : « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت يارسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل من بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « **نعم** » قلت وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : « **نعم وفيه دخن** » قلت وما دخنه ؟ قال : « **قوم يهدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر** » قلت فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : « **نعم ، دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها** » قلت يارسول الله صفهم لنا فقال : « **هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا** » قلت فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال : « **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم** » قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : « **فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك** »[1].

أظن أن هذا الحديث بفضل الله عز وجل رداً شافياً على من يقول أننا نبالغ عندما نقول : إن هلاك الأمة المحمدية فى الفرقة وأن إصلاح شأنها وعلو قيمتها فى الجماعة وأظن بعد كل هذا يا أحباب المصطفى ﷺ أنه آن لنا أن نلتزم بالجماعة حتى نغلق على إبليس طريقة « **تحقير الذنب** » وسريعاً كما وعدنا فى أول الكتاب نمضى لكى نرى ما هو الحوار الذى دار بين الصالحين والأنبياء مع إبليس عليه لعنة الله فى شأن تلك المسألة .

---

(١) رواه الشيخان البخارى ومسلم ورواه البخارى فى كتاب المناقب .

الفصل الثالث

حوار مع إبليس حول « تحقير الذنب »

لقى سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام إبليس عليه لعنة الله فقال إبليس : يا موسي أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليماً وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى إلى ربى عز وجل عسى أن يتوب على .

فدعا موسى ربه فقيل : يا موسى قد قضيت حاجتك فلقى موسى عليه السلام إبليس فقال موسى : قد امرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك . فقال إبليس : لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً .

ثم قال إبليس : يا موسى إن لك حقاً عندى بما شفعت إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث :

١ - اذكرنى حين تغضب فأنا وحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم .

٢ - واذكرنى حين تلقى الزحف فإننى ألقى ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره بولده وزوجته وأهله حتى يولى .

٣ - وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإنى رسولها إليك ورسولك إليها .

واستنتاج مسألة تحقير الذنب من ذلك الحوار من المقولة الأخيرة وهى : « **وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإننى رسولها إليك ورسولك إليها** » حيث أن عملية مجالسة النساء أصبحت فى عصرنا هذا أمراً لا نلقى له بالا ونعده من الصغائر التى لا تؤثر فى ميدان العبادة ولكن هذا ما يزينه لنا إبليس أما فى الحقيقة فهو أمر ليس بصغير حيث أن إبليس يبدأ بتحقيره ثم يتدرج « فتبدأ بجلسة ثم فكرة ثم شهوة ثم وقوع فى الزنا والعياذ بالله » فيجب أخى المسلم ألا نحقر من مسألة مجالسة النساء حتى لا نكون فريسة لإبليس عليه لعنة الله وأظن أن بذلك الحوار نكون قد جمعنا الأدلة على عملية تحقير الذنب من خلال ثلاث طرق وعدنا بها فى أول الكتاب وهى الكتاب والسنة و ..... حوار مع إبليس .

البابُ الثالِث

الفصل الأول

طريقته فى « تزيين الشر وتقبيح الخير »

قبل أن أبدأ بأمر الله عز وجل فى هذا الكتاب أذكر سريعاً أدلته من الكتاب والسنة مع الشرح الموجز المختصر فقد قال المولى عز وجل فى كتابه العزيز : ﴿ **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** ﴾[1].

فسرت تلك الآية الكريمة عظيمة النفع على النحو التالى :

« أى زين لهم المعاصى والضلال وما هم عليه من فتن وجعلهم يصرّون عليها ولا يُغادرونها »[2] إن مسألة التزيين من أخطر طرق إبليس عليه لعنة الله وهو لا يدرى تماماً أن هذا العمل يقود إلى الهلاك وإلى غضب المولى عز وجل ولعل الحديث النبوى الشريف يوضح لنا تلك المسألة ويفصلها والحديث عن وهب بن منبه رضى الله عنه « أن عابداً كان فى بنى إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه وكان فى زمانه ثلاثة أخوة لهم أخت وكانت بكراً ليس لهم أخت غيرها فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها ؟ قال : فأجمع رأيهم أن يخلفوها عند عابد بنى إسرائيل وكان ثقة فى أنفسهم فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى كنفه وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم قال : فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال : أنزلوها فى بيت حذاء صومعتى .. – **أى قريب من صومعتى** – قال : فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها فمكثت فى جوار ذلك العابد زماناً ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد إلى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام .

قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه فى الخير ويعظم عليه خروج

---

(١) الأنعام ٤٣ . (٢) تفسير الصابونى الجزء الأول ص ٣٩ .

الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك . قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثم وضعه فى بيتها فلبث على ذلك زماناً ثم جاءه إبليس عليه لعنة الله فرغبه فى الخير وحضه عليه فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة . قال : فلم يزل حتى حدثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته . قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هى على باب بيتها فتحدثك كان أنساً لها فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها قال : فلبثا زماناً يتحدثان ثم جاءه إبليس عليه لعنة الله فرغبه فى الخير والثواب فيما يصنع بها وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان أنساً لها فلم يزل به حتى فعل قال : فلبث زماناً ثم جاءه فرغبه فى الخير وماله عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها وقال : لو دنوت منها وجلست على باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها فلبثا على ذلك حيناً ثم جاء إبليس فقال : لو دخلت البيت فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك فلم يزل حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته قال : ثم أتاه إبليس عليه لعنة الله بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد فخذها وقبلها فلم يزل به إبليس عليه لعنة الله يحسنها فى عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها فولدت له غلاماً فجاء إبليس فقال : أرأيت إن جاء أخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة أخوتها أن يطالعوا ابنها .

قال : خذها واذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها فى الحفر مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل أخوتها من الغزو فجاءوا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها وقال كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه فأتى أخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها . فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم

الشيطان فى النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان وقال لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً وذبحها معه فزعاً منكم وألقاهما فى حفرة احتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من مدخله فانطلقوا فدخلوا البيت الذى كانت فيه عن يمين من مدخله فإنكم ستجدونها كما أخبرتكم هناك جمعاً وأتى الأوسط فى منامه فقال له مثل ذلك ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشىء فامضوا بنا .. ودعوا هذا عنكم . قال أصغرهم والله لا أمضى حتى آتى إلى هذا المكان فأنظر فيه .

قال : فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذى وصف لهم فى منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين فى الحفرة كما قيل لهم فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس بما صنع بهما فاستعدوا عليه مسلكهم فأنزله من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال له قد علمت أنى أنا صاحبك فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فإن أنت اطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه قال فكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه قال فعنه أنزلت هذه الآية : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين** ﴾ .

ولعلنا أحباب المصطفى ﷺ بهذا الحديث الشريف عظيم النفع قد علمنا كيف يزين إبليس عليه لعنة الله لابن آدم الشر حتى يقع فيه وهذا يتضح من الحديث حيث أنه كان فى كل مرة يأتى للعابد قائلاً له **هذا خير وثواب** ، وهذا أحسن لك عند الله ، بهذه الطريقة ظن العابد أنه يتقرب بأعماله إلى الله و لم ينبه إلى أنها إحدى مكايد إبليس ويالله على تلك المكايدة البالغة الخطورة دخل من باب أن الفعلة فعلة خير والثواب فيها عظيم وأغفله عن أن الفعلة فى حق امرأة ليس معها محرم وأن المرأة والرجل إذا جلسا سوياً كان إبليس

عليه لعنة الله ثالثهما ولكن أحباب المصطفى ﷺ هل أفلح إبليس عليه لعنة الله فى استخدام هذا الطريق فى عصرنا هذا ؟ « نعم » أحباب المصطفى ﷺ لقد أفلح إبليس عليه لعنة الله فى استخدام تلك الطريقة فى عصرنا هذا ولعلنا نضرب الأمثلة لقولنا ونكتفى بثلاثة أمثلة وهى :

١ – كيف زين للعباد اتخاذ القبور داخل المساجد ؟

٢ – كيف زين للعباد أمر عبادتهم وفخمها لهم حتى أنساهم ذكر الله ؟

٣ – كيف زين لنا مخالطة النساء ؟

وسوف نشرح الأمور الثلاثة بفضل الله عز وجل أمراً أمراً ونراعى فى هذا الشرح أن يكون مشتملاً على طريقة إبليس فى تزيين كل أمر مع الرد والدليل على تحريم كل أمر من الكتاب والسنة النبوية المطهرة .

أولاً : زين للعباد اتخاذ القبور داخل المساجد :–

كنت فى يوم من الأيام أتناقش مع رجل ممن يصلون فى المساجد التى بها قبور وأنصحه لعله يرجع بأمر الله عز وجل عما يفعله ودار بينى وبينه هذا الحوار . قلت : ما فائدة بناء القبر داخل المسجد إن ذلك فعله من أفعال اليهود ؟ قال : كيف يكون ذلك فعلة من أفعال اليهود وإن كان كذلك فلم يرد نص بالتحريم ! قلت : سأذكر لك نصوص التحريم إن شاء الله ولكن أريد أن اسألك حقاً ما فائدة بناء القبر داخل المسجد ؟

قال : إن لبناء القبر داخل المسجد ثلاثة أمور عظيمة هى :–

١ – تخليد ذكرى هذا العبد الصالح وهذا من حقه .

٢ – تخليد ذكراه حتى يكون لنا قدوة وأسوة نقتدى به .

٣ – لكل عبد صالح بركات ونفحات تصحبه وهو حى أو ميت فندفنه فى المسجد لكى ننال تلك البركات والنفحات .

قلت : رغم ما قلته أقول لك أخيراً لو جئتك بأمر الله عز وجل بأدلة تحرم الصلاة فى مسجد به قبر هل تمتنع ؟

قال : نعم ولما لا أمتنع إن كان ذلك حراماً ولا أصل له من الشرع . قلت : إذاً فاسمع بأمر الله عز وجل هذه الأحاديث التى تعمدت أن تكون فى الصحيحين البخارى ومسلم حتى لا ينتابك شك فى حديث واحد منهم :–

[١] حديث عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبى ﷺ فقال : « **إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة** »(١).

[٢] حديث عائشة رضى الله عنها عند النبى ﷺ قال فى مرضه الذى مات فيه : « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد** »(٢).

[٣] حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **قاتل الله اليهود اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد** »(٣).

[٤] حديث عائشة وعبد الله بن عباس قالا : مما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك : « **لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد** »(٤). فاقتنع الرجل بأمر الله عز وجل ولم يعد يصلى فى مسجد به قبر ولعلنا إذا دققنا النظر قليلاً فى الحوار الذى دار بينى وبينه نجد أن الرجل كان على ضلال كبير واستطاع إبليس أن يوقع ذلك الرجل المسكين فى إحدى طرقه وهو طريق تزيين الشر حيث زين له أمر الدفن وقال له أن دفن الرجل الصالح فى قبر بالمسجد يجعل ذلك الرجل الصالح عبرة وعظة وقدوة لمن خلفه وهو نفس المدخل الذى دخل منه إبليس عليه لعنة الله إلى الأقوام السابقة فكان يأتى لهم فيجعلهم يصورون الرجل الصالح منهم بعد ذلك يزين لهم الشر أكثر من ذلك قائلاً لهم لو أنكم أقمتم له تمثالاً كان أخلد لذكراه فيقيمون له تمثالاً ثم بعد ذلك يزين لهم الشر ويقول لهم أنه إنسان صالح فتقربوا إلى الله من خلاله ثم بعد ذلك يأتى أحفادهم فيقول لهم أن هؤلاء التماثيل لِألهة فاعبدوهم فيعبدوهم هكذا مضى إبليس فى طريقه مع الأقوام السابقة وهو ما يفعله معنا الآن بتزيين الشر فلقد زين للناس بناء القبور داخل المساجد ثم قال هؤلاء أناس صالحون فتقربوا إلى الله من خلالهم ففعل الناس ذلك ثم جاءت الطامة

---

(١) رواه الشيخان البخارى ومسلم والحديث فى كتاب الصلاة عند البخارى

(٢) رواه الشيخان البخارى ومسلم وعند البخارى فى كتاب الجنائز .

(٣) رواه الشيخان وعند البخارى فى كتاب الصلاة .

(٤) نفس المرجع السابق .

الكبرى التى أقسم بالله أنها أصبحت تملأ مساجدنا فلقد رأينا نساء يدخلون إلى القبور ويقولون « **يا سيد يا بدوى احمى لى ابنى يا سيد يا بدوى اشفى لى ابنى يا حسين احمى لى ابنى يا حسين اشفى لى ابنى** » أى أصبح من بداخل القبور ألهة يعبدون من دون الله ويالله على طريق إبليس عليه لعنة الله من دخل فيه قاده كما قاد مستقبلنا إلى الكفر والضلال وأظن يا أحباب المصطفى ﷺ أنى بهذه الأدلة أكون بفضل الله عز وجل قد غطيت الأمر الأول وآن لنا أن ننتقل إلى الأمر الثانى .

ثانياً : كيف زين للعباد أمر عبادتهم وفخمها لهم حتى أنساهم ذكر الله :

يدخل إبليس عليه لعنة الله قائلاً يا الله إنك حقاً إنسان لا بأس بك فأنت تعبد الله حق العبادة وأظن أن الله يحبك فأنت تصلى وتصوم وتزكى يا الله إنك رجل خير ثم يقول لك وحتى لا تغتر ولا تمل الهو قليلاً وتمتع قليلاً ولا تشدد على نفسك فى العبادة وكفى لك ما فعلت من الخير الكثير والعبادة الحسنة وهذا هو والعياذ بالله ما نسميه تفخيم أمر العبادة وهنا وعندما يصل إبليس إلى هذا الحد مع ابن آدم واستطاع أن يقنعه بذلك القول يخسر المرء منا خسراناً عظيماً ويخسر أمور كثيرة قد تقود بالإنسان والعياذ بالله إلى النار وتبعد عن الطريق المستقيم ورضا رب العالمين ولندقق فى الأمور التى يقع فيها ابن آدم إن استطاع إبليس عليه لعنة الله أن يقوده إلى هذا الطريق وهى :-

١ - الفتور فى العبادة . ٢ - الإنصراف إلى الملذات .
٣ - الإقلال من الطاعات حتى والعياذ بالله أنها تكاد تختفى .
٤ - غضب الله والعياذ بالله من غضب الله .

ولعلنا وسريعاً نريد أن نفصل هؤلاء الأمور الأربعة :-

الأمر الأول :- الفتور فى العبادة هب أن شخصاً أتقن كل عمل يعمله ثم جاءه رجل وقال له أنت حقاً إنسان لا بأس بك ولكن هون على نفسك ولا ترهقها أكثر من اللازم حتى لا تضعف ويقل عملك فلا ينبغى الاتقان الكامل وأجعل هذا الرجل يردد لك الكلام على الرجل المتقن لعمله تجد بعد فترة وجيزة من الزمن أن الشخص المتقن لعمله أصبح عمله قليل الاتقان هكذا

إبليس يدخل للإنسان قائلاً له إنك إنسان محسن ومتقن فى عبادتك فلا تشدد الأمر على نفسك حتى لا تضعف ويظل إبليس عليه لعنة الله يردد ذلك الكلام اللعين على مسامع الشخص حتى يجعله يفتن .

الأمر الثانى : الإنصراف إلى الملذات والشهوات .

وأظن أن هذا الأمر هو الطامة الكبرى التى نراها ونلمسها فى حياتنا المعاصرة حيث أنك تجد الإنسان بعد أن يصلى فى المسجد يذهب لسماع الغناء أو شرب السيجارة أو مجالسة النساء أو الجلوس على المقهى للألعاب المحرمة التى حرمتها الشريعة الإسلامية وأظن أن هذا الأمر قد واجهنى مع أحد الأشخاص حيث أنه كان يصلى معنا فى المسجد وفجأة رأيت ما لم آخذه فى الحسبان رأيته يخرج من المسجد ويجلس لسماع الغناء بتلذذ غريب فدار بينى وبينه هذا الحوار :

قلت : يا رجل أصلح الله بالك هل تجلس لسماع الأغنية بعد الصلاة .

قال : لا بأس بأغنية أو اثنتين .

قلت : ألا تعلم أن الغناء حرام .

قال : يا هذا أنا أصلى وأصوم وأزكى وزرت بيت الله الحرام وبعد كل هذا أليس من حقى أن أسمع الغناء ألم يقل المصطفى ﷺ « **ساعة وساعة** » .

فأخذت جاهداً أن أقنعه بحرمة الغناء فلم يقتنع فانصرفت ولكنى دققت النظر فى المقولة الأخيرة وهى « أنا أصلى وأصوم وأزكى وزرت بيت الله الحرام» فتنبهت سريعاً وعلمت أن هذا الكلام من أعمال إبليس فإبليس عليه لعنة الله قد فخم للرجل فى عبادته وقال له يا مصلى يا صائم يا مزكى يا حاج يا حسن العمل والعبادة وكثير الطاعة أظن أن لك حقاً فى أن تتلذذ قليلاً وتسمع قليلاً من الغناء فلا بأس بذلك وأن مسألة الغناء لن تقلل من شأن عبادتك فإن طاعاتك كثيرة وعباداتك لا بأس بها وإنما مسألة الغناء ليست إلا دفعة حتى تقوى بها عبادتك وتنشط فيا الله على هذا المدخل اللعين من مداخل إبليس عليه لعنة الله وهذا المدخل أصبحنا نراه كثيراً فى حياتنا المعاصرة وحتى لا نطيل فى تلك المسألة أخى القارىء الكريم أذكر سريعاً حكم الإسلام فى

الغناء حتى لا يرتاب أحد فى حرمانيته ولا فى استنكاره وبغض الشريعة الإسلامية لأمر الغناء وإليكم الأدلة :

« عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إياكم وسماع المعازف والغناء فإنهما ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل** » .

وقال ﷺ : « **الغناء واللهو ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب والذى نفسى بيده أن القرآن والذكر لينبتان الإيمان فى القلب كما ينبت الماء العشب** » . وقال ﷺ : « **من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع إلى صوت الروحانين فى الجنة** » .

وقال ﷺ : « **صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة : مزمار عند نغمة ورنة عند مصيبة** »[1].

قال الإمام القرطبى : حكموا بتحريم الغناء من الأجنبية والنساء أو من وراء حجاب حرة أو مملوكة ولا فرق بين إسماع الشعر والقرآن لما فيه من تهييج الشهوة وخوف الفتنة لاسيما إذا ألحنته فسماعة كالاطلاع على محاسن جسدها بل الحاصل لغنائها من المفسدة أسرع من ذلك لأن السماع يؤثر فى النفس قبل رؤية الشخص أما تهيجة الشهوة وإيقاعه فى الفتنة فلا شك فيه .
وأظن أحباب المصطفى ﷺ أن نكتفى إلى هذا الحد بالنسبة لهذا الأمر وتنتقل سريعاً بأمر الله عز وجل إلى الأمر الذى يليه .

الأمر الثالث : الإقلال من الطاعات :

إن الطاعة أمر جميل كما تعرف فالطاعة كل عمل خير يطلب به وجه الله عز وجل ولكن كثيراً من الناس إلا من رحم ربى غفلوا عنها فلنجلس قليلاً أحباب المصطفى ﷺ ولنتدبر كم رجل لو سألناه هل تحب الله يقول نعم أحب الله ؟ أعتقد أن كل من نسأله سيقول أنا أحب الله . ولو سألناه ما دلالة حبك ماذا سيقول ؟ أعتقد أنه سيقول أنا أصلى وأصوم وأزكى وأعتقد أن الله سيحبنى وسيدخلنى جنته فأنا أعمالى كثيرة وطاعتى دائمة والناس يقولون عنى رجل إحسان وبذلك أظن أن الله يحبنى وسيدخلنى جنته .

أنظروا أحباب المصطفى ﷺ إلى الغفلة فإن الشخص منا يظن كما زين

(١) الأحاديث منقولة من « كف الرعاع عن محرمات السماع » للإمام ابن حجر الهيثمى .

له إبليس ذلك أن أعماله كثيرة وطاعته دائمة لذلك سيدخل الجنة ولكننا لكى نرد على تلك الأقوال نرجع سريعاً إلى سلفنا الصالح وننظر عمل أى شىء كان حالهم وماذا كان ردهم وهل أفلح إبليس معهم كما أفلح مع كثير من عصرنا الغافل هذا . فلننظر مثلاً إلى الإمام الحسن البصرى عندما سُئل وقيل له يا إمام نراك طويل البكاء قال : « أخاف أن يطرحنى فى النار ولا يبالى »[1] يا الله على الرد الحسن من الإمام الحسن أخاف أن يطرحنى فى النار ولا يبالى لم يقل أعمالى كثيرة وطاعتى دائمة لا أنه تذكر الحقيقة وهى حقيقة أننا مهما عملنا من أعمال صالحة فلن نؤدى إلى الله حقه وحتى إن اجتهدنا حق الإجتهاد وعبدنا حق العبادة فلن نؤدى له حقه فاغلق بذلك الطريق على إبليس عليه لعنة الله وسد عليه الباب الذى يدخل منه الكثير من عباد الله وأروى لكم تلك القصة حتى تروا مدى انتباه الحسن رحمة الله عليه إن شاء الله إلى إبليس عليه لعنة الله حيث جاء الحسن البصرى فى أحد الأيام رجلاً وقال له يا إمام إنى أجالس أقوام يخوفونا من الموت حتى تكاد قلوبنا تنقطع فقال له الحسن البصرى رحمه الله : « لأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك أمناً خير من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف »[2] من هنا يتضح لنا أن الحسن رحمه الله أدرك أن الرجل مفتون فنبهه وجعله يستيقظ حتى لا يستيقظ على الحقيقة الكبرى ألا وهى الموت وسريعاً أحباب المصطفى ﷺ ننتقل إلى الأمر الأخير :

الأمر الرابع : غضب الله والعياذ بالله من غضب الله :

إن الإنسان إذا دفعه إبليس عليه لعنة الله إلى الاغترار بعمله والتباهى بعبادته فإن الله يطرده من رحمته ويغضب عليه كيف يتباهى بعمله القليل هذا فيقول ألسنا نصلى ونصوم ونزكى ألا يكفى هذا فماذا تريدون بعد ذلك أليس هذا كله يكفى لأن ندخل الجنة ونقول له تنبه أيها الغافل فإنك والله إن ظننت أنك بعملك تدخل الجنة فقد خسرت وما ربحت وضاع عملك كله هباء إذ أن الجنة لا تكون إلا برحمة الله وأن العمل مهما زاد لن يجعلك ترث الجنة

---

(١) الداء والدواء ص ٢٥ .

(٢) الداء والدواء لابن القيم ص ٢٥ .

وإنما هى رحمة الله التى تتغمدنا جميعاً فانتبه أخى العزيز ولا تغتر بعملك وتظن فيه النجاة بل اعمل واعلم أن الجنة برحمة الله لا بالعمل تغتر وهذا هو ما أقره المصطفى ﷺ فى سنته والحديث الدال على ذلك حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لن ينجى أحداً منكم عمله** » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته** »[1] وأيضاً حديث عائشة عن النبى ﷺ قال : « **سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يدخل أحد الجنة عمله** » قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بمغفرة ورحمة** »[2].

ومن هذين الحديثين الشريفين ذوا النفع العظيم والبيان السديد والقول البليغ نستطيع أن نتبين أنه لا يوجدامرىء مطلقاً يدخل الجنة بعمله وإنما هى رحمة الله فلا تغتر أخى المسلم بعملك وتقول سيدخلنى الله الجنة بصلاتى وصومى وزكاتى ولكن قول إنى أصلى وأصوم وأزكى وأطمع أن يدخلنى الله الجنة برحمته .

ثالثاً : مخالطة النســاء :

هذا الأمر من أخطر الأمور التى يجب أن ينتبه لها المسلم فلعلنا نلاحظ أمراً غريباً فى عصرنا هذا وهو قول لم نسمعه من قبل فى السلف الصالح ألا وهو مقولة أحد الرجال عندما تسأله لماذا تجالس وتصافح تلك المرأة وهى ليست من أهلك يقول : **إنها كأختى** أو عندما تسأل المرأة لماذا تصافحين ذلك الرجل وتتكلمين معه تقول : إنه **كأخى** بل ونعم الأخ هو » فبالله عليكم يا أحباب المصطفى ﷺ أية أخوة هذه التى لم نسمع عنها فى شرعنا الحنيف إنها أخوة ابتدعها إبليس عليه لعنة الله وزينها لنا حتى نضل السبيل فمثلاً يدخل العم على زوجة ابن أخيه فيسلم عليها ويقول أنت كابنتى أية ابنة هذه التى لم نسمع بها ولا بمشروعية بنوتها فى شرعنا الحنيف ولو أن العم من القضايا الخطيرة ولكن الأخطر منها أننى قد رأيت أمام عينى رجل يسلم على امرأة لا علاقة له بها إلا الجيرة ويجلس معها قليلاً ثم ينصرف ولكن الطامة

---

(١) رواه الشيخان وعند البخارى فى كتاب الرقاق .

(٢) نفس المرجع السابق .

الكبرى عندما سألته كيف تفعل هذا ألا تعلم أن هذا حرام أجاب بإجابة غريبة قائلاً : أنها كأختى فقلت بالله عليك أية أخوة هذه فلم اسمع عنها فى الشرع فقال لى : اسكت أيها المتزمت إنما الدين أيسر مما تقول فلا بأس أن أقف معها ما لم أُغضب الله فقلت له وكيف لا تغضب الله وغضب الله فى وقفتك معها وقلت له أيضاً وحتى لا تقول متزمت ولا متشدد اسمع الأدلة من السنة النبوية حتى ترجع عن ما أنت فيه :-

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يخلون رجل بامرأة ولا يحل لامرأة أن تسافر إلا ومعها ذو محرم** » فقام رجل وقال يارسول الله انى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا وأن امرأتى انطلقت حاجة فقال : « **انطلق فاحجج بامرأتك** »[1] وأيضاً قول رسول الله ﷺ : « **إياكم والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ولأن يزحم رجلاً خنزير ملتطخ بالطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له . لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم أو ليكشفن الله وجوهكم** »[2].

وقال رسول الله ﷺ : « **إياكم والدخول على النساء** » فقال رجل من الأنصار : يارسول الله أفرأيت الحمو ؟ قال : « **الحمو الموت** »[3].

والحمو : هو أبو زوج المرأة ومن كان من قبله والأنثى حماة وحمو الرجل أبو امرأته أو أخوها أو عمها .

قال أبو عبيد : « يعنى فليمت ولا يفعلن ذلك فإذا كان هنا دأبه فى أبى الزوج فكيف الغريب » أيها المسلمون انتبهوا وتيقظوا فهذا حديث المصطفى ﷺ يمنع دخول ومخالطة أبو الزوج فكيف حال الغريب ولعل بعض المخالفين الذين لم يفهموا وليتعمقوا فى الديانة الإسلامية يقولون وأين الآية التى تدل على ذلك فنرد عليهم قائلين بقول المولى عز وجل : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ أى أن الحديث اتباع الأوامر التى جاء فيه كاتباع الأوامر التى جاءت فى الكتاب ونرد أيضاً بقول المولى عز وجل : ﴿ **وما آتاكم**

---

(١) مسند الإمام الشافعى ص ٥٩ .
(٢) الزواجر (ج ٢) ص ٢ .
(٣) الزواجر (ج ٢) ص ٣ .

الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ فإن الأوامر التى تصدر من المصطفى ﷺ أوامر صادرة بناء على وحى من عند الله فيجب اتباعها والعمل بها كما نعمل بالأوامر التى جاءت فى كتاب الله عز وجل والنواهى التى نهى المصطفى ﷺ محرمات كالمحرمات التى ذكرت فى كتاب الله عز وجل ولعل هذا ليس بقولى ولكنه قول علماء السلف الصالح فلا فرق مطلقاً بين أمر أتى فى هذا الكتاب أو جاء فى السنة فكلاهما أمر ولعلنا بعد أن أوضحنا أن مجالسة النساء ومصافحتهن والكلام معهن حرام وأتينا بالأدلة نجد بعض المتحذلقين المتفلسفين الذين يظنون بأنفسهم العلم وهم رواد الجهل وأهل الفتن ألا وهم بعض شباب الجامعة الذين يقولون وينادون بالإختلاط ويوضحون ماله من فوائد مثمرة تعود على الفتى والفتاة فى ميادين التعليم حيث يجتهد كل منهم وينافس الآخر ويقولون أيضاً أن من يمنع الاختلاط ما هو إلا متأخر رجعى لا يريد الحضارة ولا المدنية ولا الرقى ولا التقدم ونقول لهم اتقوا الله فلا تشرعوا ولا تستنوا أشياءًا حرمها الله و لم يعط أمراً واحداً بجوازها وأن ما تظنوه تقدماً وتحضراً أصبح مجال معاناة فانظروا إلى الغرب بعد أن سمح بالإختلاط كيف صار حالهم أنه الآن يبدأ فى العد التنازلى لضياع حضارته ولا تغتروا بالصعود إلى القمر والمعامل والدراسات والأبحاث ولكن انظروا إلى تلك الحضارة وإلى ذلك التقدم من جذوره أين شباب الغرب إنهم تائهون حائرون بين الضياع والهلاك نظراً لأنهم لا يملكون تشريعات سماوية كما نمتلكها نحن أيها المسلمون .

أخى القارىء حبيب المصطفى ﷺ إن التقدم فى الديانة الإسلامية التى يطلق عليها شبابنا رجعية وتخلف ويريد هو أن يشرع ويضع لنفسه القوانين والأحكام ويقول هذا حرام وهذا حلال بناء على ما قد زينه الشيطان له .

أخى طالب الجامعة تريث قليلاً قبل أن تطلق على ذلك الكلام رجعية وتخلف وانظر إلى حضارة الغرب وكيف تنهار انظر إلى أمريكا وما يحدث لشبابها من إبادة بالمخدرات وما شابهه ألم تفكر فى يوم ما كل هذا أن كل هذا والله ما نشأ إلا لأنهم لا يمتلكون تشريعاً سماوياً كما نمتلكه نحن فوالله إن امتلكوه لكانوا أصحاب حضارة حقيقية لا حضارة مزيفة كالتى نراها أمام أعيننا أخى طالب الجامعة إن إبليس عليه لعنة الله يزين لك أموراً لا تنتبه أنت

لها إلا أن تلك الأمور هى « **مجالسة المرأة** » يقول لك لا بأس بالمخالطة فهى للتقدم و« **مصافحتها** » لا بأس فهى زميلتى .

أخى طالب الجامعة إن إبليس عليه لعنة الله لن يرضى لك أن تكون مثالاً وقدوة حسنة لغيرك فامتنع عن تلك الأمور التى يزينها لك إبليس عليه لعنة الله وتريث حتى نكون أصحاب حضارة حقيقية ألا وهى « **الحضارة الإسلامية** » .

وأخيراً أختم ذلك الأمر بحوار من أجمل ما قرأت بين طالب جامعة وفضيلة الشيخ الشعراوى والذى قرأته فى جريدة بعنوان « **صوت الجامعة** » وتصدر من جامعة القاهرة هذا الحوار يقول :-

طالب الجامعة : ما رأى فضيلة الشيخ الشعراوى فى علاقة الرجل بالمرأة ؟

الشيخ الشعراوى : علاقة الرجل بالمرأة الأجنبية إن كانت مخالطة فهى حرام .

طالب الجامعة : وما حدود العلاقة بين الفتى والفتاة فى الجامعة ؟

الشيخ الشعراوى : يا بنى قلت لك العلاقة حرام فكيف تسأل عن حدودها .

طالب الجامعة : أظن يا فضيلة الشيخ أن علاقة الفتى بالفتاة فى الجامعة أو فى التعليم عموماً علاقة مثمرة ؟

الشيخ الشعراوى : نعم علاقة مثمرة وأسأل فى ذلك المشرفون على دورات المياه فى الجامعة . حقاً جزاك الله خيراً يا فضيلة الشيخ الشعراوى على تلك الإجابات الطيبة التى يجب أن يضعها طالب الجامعة فى رأسه حتى لا يدع إبليس عليه لعنة الله يتلاعب بأفكاره ويسول له العلاقات التى حرمتها الشريعة الإسلامية وحرمتها لمصلحتنا نحن فكم مرة سمعنا عن قضايا إغتصاب وقضايا زنا بل ونذكر الشباب بشابات كلية الطب فى القاهرة اللاتى تم القبض عليهن فى بيوت مجون وفجور وهن يروجون الفجور أرأيتم أى ثمرة جناها الاختلاط لا تغالطوا أنفسكم فإن الشرع لا يحرم أشياءًا إلا عن رحمة للأمة وإرادة منفعة للبشرية ولكنه إبليس عليه لعنة الله الذى يسول لنا ذلك ويزين لنا الشر وأرجو من الله عز وجل أن يكون كلامى هذا ذو ثمرة فى فكر من يقرأه وسريعاً نمضى إلى الأمر الثانى :-

المسألة الثانية : توبيخ الخير ولعلى سأضرب مثالاً واحداً فقط وعليكم أيها الأخوة والأحباب أن تضعوا لهذا المثال مقياساً تقيسوا به باقى الأمور التى تواجهكم وتمرون بها وهذا المثال حقاً هو مثال مؤلم يجرح قلبى وأجده أمامى كل ساعة وكل لحظة فى حياتنا المعاصرة التى امتلأت بالفتن والدسائس والمكائد وساد فيها الشرور والنزاع والخلاف وغرابة الدين نعم إن الدين أصبح غريباً وهذا المثال هو قول المتحذلقين المتفيهقين أعداء الدين من يريدون تفصيل دين يشاكل هواهم ويتبع ملذاتهم ويساير شهواتهم أولاء الناس يقولون على النقاب **« ما هؤلاء النساء اللاتى ترتدين الخيمة »** النقاب عندهم أصبح خيمة العفة والطهارة والنقاء أصبح يطلق عليها خيمة يا الله ولكنى أعود سريعاً وأقول فلنلتمس لهم العذر فإن إبليس عليه لعنة الله هو الذى زين لهم تلك الكلمة وقبح لهم الخير الذى يستفرض النقاب نقول لهم عذراً ولكن اسمعوا إن المرأة المتنقبة انتبهت إلى أشياء لم تنتبهوا أنتم إليها انتبهت إلى أن الخير المقبح فى أنظاركم ما هو إلا مرضاة للمولى عز وجل وطريق إلى جنته وأمان من عذابه وعقابه وعلمت أنها إن تزينت وخرجت باءت بسخط الله وغضبه وعلمت أنها إن تبخترت لعنت وطردت من رحمة الله فجاهدت نفسها وقمعت شهواتها وملذاتها وأخذت فى طريقها إلى الله لأنها أدركت الحقيقة الكبرى أدركت أن هذا الجسد الجميل مثواه الأخير هو القبر حيث يأكله الدود ويسكن بمفرده بلا أنيس ولا جليس ولا صحبة إلا العمل وهنا وعندما أدركت المتنقبة ذلك عملت بالأوامر الشرعية لا بهواها ولا مرضاة لشهواتها وأظن أن من يفكر قليلاً ويتعقل الأمور لن يسمح لزوجته ولا لأخته ولا لأمه بأن تخرج متبخترة بزينة أو متعطرة كما نرى فى حياتنا المعاصرة بل يجعلها ترتدى العفة وتتحلى بالإيمان ويسكن خلقها الطهارة وأملها رضا الرحمن وإلا والله كان سخط الله علينا ونقمته وعذابه الذى لا يرد وقهره الذى لا يصد وأظن أنى لا أقول هذا الكلام من رأسى بل والله إنه ما تعلمته من أمور دينى فلقد تعلمت حينما كنت أدرس علم الحديث أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس دخلت امرأة من مزينة **« تدخل فى زينة »** لها فى المسجد فقال النبى ﷺ : **« يأيها الناس**

انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر فى المسجد فإن بنى إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن فى المساجد »[1].

اعلمتم أحباب المصطفى ﷺ أنى لم أكن لأقل كلاماً من رأسى فهذا هو حديث المصطفى ﷺ ينص على أن اللعن والطرد من رحمة الله من أسبابه تبختر النساء وزينتهن ولعلنا إذا دققنا النظر قليلاً فى الحديث نجد أن التبختر والزينة كانت فى المسجد فما بالكم بمن يسمح لزوجته بالتبختر والزينة والذهاب إلى الأفراح والحفلات وما شابه ذلك من أمور الفجور وما أدراكم بأنواع العطور التى توضع والتى لا حصر ولا عدد لأسمائها ألا يعلموا أن من خرجت متعطرة فهى زانية وأظن أننى عندما أقول ذلك لن أجد سوى رداً واحداً يا متزمت وحتى لا تقال تلك الكلمة فى حقى أسوق إليكم حديث المصطفى ﷺ : « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية وكل عين زانية »[2].

وأيضاً والنوع الجديد الذى انتشر الآن وهو النمص والتنمص وما شابهه الذى إن جئت لتقول أنه حرام أظن أنك ستجد مشاكل لا حصر لها ولا عدد حيث يزين إبليس للمرأة النمص والتنمص ويقبح لها والعياذ بالله وجهها فيقول لها أتظلين على تلك الحالة لا لا إنه أمر غريب تنمصى يا امرأة ولا تكونى بهذا الوجه القبيح ذو المعالم التى لا يظهر منها الأحاجيك لعنة الله فى كل كتاب يقبح للمرأة خلق الله ويزين لها التنمص وحجته فى ذلك أن الوجه القبيح ولابد أن يزين بالتنمص وإن جئنا نحن لنقول أن التنمص حرام آه على ما نواجهه ونعانيه من الكلمات التى تخرج كالأسهم الفاتكة والتى تحمل « يا متزمتون » لا تشددوا فى الدين ونقول أن هذا ما سوله إبليس عليه لعنة الله لكم ولكن اسمعوا إلى حديث المصطفى ﷺ :

« حدثنا عثمان حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم بن علقمة عن عبد الله : « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى » مالى لا العن من لعن النبى ﷺ » وهو فى كتاب الله ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[3] وعن عطاء بن

(١) رواه ابن ماجه . (٢) رواه النسائى وابن خزيمة وحبان فى صحيحيهما .
(٣) رواه البخارى فى كتاب اللباس باب المتفلجات للحسن .

يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن الرسول ﷺ قال :
« **لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة** »[1].

فهذه هى أحاديث المصطفى ﷺ توضح أن لعنة الله وغضبه تقع على النامصة والمتنمصة وحتى لا يكون كلامنا به غموض نوضح لكم معنى النامصة والواشمة وما شابه ذلك :

الواشمة : هى التى تضع الزينة للنساء فى الوجه .

المستوشمة : هى التى تضع الزينة فى وجهها « **كالحسنة** » كما يطلقون عليها .

الواصلة : التى تصل شعر الرأس للنساء كما يطلقون عليها فى عصرنا « **الباروكة** » .

المستوصلة : التى تصل شعر رأسها .

النامصة : هى المرأة التى تقوم بإزالة شعر الوجه للنساء « **كالحاجب** » .

المتنمصة : هى التى تُزيل شعر وجهها .

الفالجة : التى تجعل فراغاً بين الأسنان للنساء .

المتفلجة : التى تجعل فراغاً بين أسنانها من أجل الزينة[2]

ولعل هناك نساءًا لازال فى قلوبهن نور يريد أن يخرج من الظلمات التى تحيط به وخير يريد أن يروى فهو متعطش إلى الرى لكى ينبته فتسأل إذاً وإذا كان إبليس عليه لعنة الله قد قبح لنا النقاب وزين لنا كل تلك الشرور التى أوضحتها لنا فما دليلك على النقاب الذى تدافع عنه عسى الله أن يهدينى فإن الخير لا ينبت إلا بالرى وأن النور إذا حاوطه الظلام خنق وإن كان فى النور زاد فى الدليل على الطهارة والعفة اللتان تحدثت عنهما ؟

وما الدليل على النقاب ؟ نرد على ذلك والله الموفق أن المرأة التى تنبهت إلى طرق إبليس وعلمت أنه يدفعها إلى الهلاك يحق لها أن تعرف الأدلة فلديك بالأدلة يا أمة الله ويا من التمست الخير وتريدين أن تتمسكى به :-

[١] قال أحمد بن شبيب حدثنا أبى يونس عن ابن شهاب عن عروة عن

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) تم تفسير تلك الكلمات من كتاب فتح البارى لشرح صحيح البخارى المجلد العاشر كتاب اللباس .

عائشة رضى الله عنها قالت : « يرحم الله نساء المهاجرات لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها »[1].

[٢] حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة أن عائشة رضى الله عنها كانت تقول : « لما نزلت هذه الآية ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ أخذن إزارهن فشققنها من قبل الحواش فاختمرن بها »[2] وإليكم شرح هذين الحديثين العظيمين النفع قبل أن أذكر أدلة أخرى بأمر الله عز وجل شققن مروطهن جمع مرط وهو الحواش من الملابس الداخلية كما نطلق عليها « **فاختمرن** » أى غطين وجوههن وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر فلا يظهر وجهها .

قال الفرّاء : « كانوا فى الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدامها فأمرن بالاستتار والخمار كالعمامة للرجل إلا أنها لتغطية الوجه » .

ولعلنا إذا نظرنا إلى قول الفراء فى قوله كانت المرأة فى الجاهلية تسدل خمارها من ورائها أى أنهم فى الجاهلية قبل الإسلام كانوا « **أى النساء** » يغطون رءوسهن أى أن نساءنا اللاتى كشفن رءوسهن أمر وأدهى من الجاهلية فرحمة الله على هذا العصر الذى ارتدت فيه نساؤه زى يعتبر زى الجاهلية له تزمت ورجعية فما بالنا بزى الإسلام ! كان هذا تعليقاً صغيراً على قول الفراء ولنعد فى سرد أدلة النقاب .

[٣] حدثنا عبد الله بن خثيم عن صفية ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن فقالت : إن نساء قريش لفضلاء ولكن والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل ، لقد أُنزلت سورة النور : ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رءوسهن الغربان »[3].

[٤] حدثنا أبو كامل ثنا أبو عوانة عن إبراهيم بن مهاجر عن صفية بنت

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى المجلد الثامن كتاب التفسير .

(٢) البخارى من المجلد الثامن كتاب الفتح مجلد التفسير باب « وليضربن بخمرهن ... » .

(٣) نفس المرجع السابق .

شيبة عن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت نساء الأنصار فأثنت عليهن وقالت لهن معروفاً وقالت لما نزلت سورة النور عمدن إلى حجور أو حجوز شك أبو كامل فشققنهن فاتخذنه خُمُراً[1].

[٥] محمد بن عبيد ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن خثيم عن صفية بنت شيبة عن أم سلمة قالت : لما نزلت ﴿ **يرمين عليهن من جلابيبهن** ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من الأكسية[1].

[٦] حدثنا أحمد بن صالح ثنا سليمان بن داود المهدى وابن السرح وأحمد ابن سعيد الهمذانى قالوا : أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى فنرة بن عبد الرحمن المعافرى عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ شققن أكثف قال ابن صالح : أكثف مروطهن فاختمرن بها »[٣].

وبعد أن ذكرنا بفضل الله عز وجل أدلة النقاب للمرأة التى تريد أن تسلك الطريق إلى الله وتعمل لرضاه وتغلق على إبليس الأبواب آن أوان ذكر مسألة قد يدخل منها إبليس عليه لعنة الله فتكون تلك المسألة سبب فى عرقلة ارتداء الأخت المسلمة النقاب وهذه المسألة هو الحديث الذى ينص على جواز كشف الوجه واليدين وإليكم النص :

حدثنا يعقوب بن كعب الأنطاكى ومؤمل بن الفضل الحرانى قالا ثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد قال يعقوب بن دريك عن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فاعرض عنها رسول الله ﷺ وقال : « **يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا** »[٤] وأشار إلى وجهه وكفيه .

قال أبو داود : (أن خالد بن دريك لم يدرك عائشة وهذا الحديث مرسل . فبالله عليكم رجل لم يدرك من يروى عنه هل يكون هذا الحديث حديث صحيح يعمل به أم أنه حديث واهٍ لا أصل له من الصحة ويجب علينا أن نأخذ بالصحيح ونعمل به . وهناك تعليق صغير قبل أن أختم ذلك الفصل

(١) رواه أبوداود المجلد الرابع الحديث رقم ٤١٠٠ .
(٢) رواه الترمذى المجلد الرابع حديث رقم ٤١٠١ .
(٣) نفس المرجع السابق رقم ٤١٠٢ .
(٤) رواه الترمذى وهو حديث مرسل .

هناك ألفاظ ابتدعت تتعلق بهذا الفصل وهو فصل « **طرقه فى تقبيح الخير وتزيين الشر** » ومن أمثلة تلك الألفاظ « **تزمت – رجعية – أصوليون – متخلفين – يحبون حياة أهل البدو – يا خاليين من أساليب التحضر** » تلك الأسماء التى ابتدعت وزينها إبليس عليه لعنة الله للناس هل كل إنسان يطالب وينصح الناس بالإسلام إنسان متزمت ؟ لعلى أرد على كل تلك الأقوال بأبيات من الشعر أختم بها ذلك الفصل وأرجو من المولى عز وجل أن تحفظوا تلك الأبيات وتضعوها نُصب أعينكم وتتفكروا فى ألفاظها التى تحمل من المعانى مافيه الجواب الشافى لمن أمرض إبليس قلبه وزين له تلك الألفاظ والكلمات وأرجو من المولى عز وجل أن تؤدى تلك الأبيات الأهداف السامية التى كتبت وسطرت من أجلها وهى :

جنـود إبليـس لا يمكـــرون بل نفسك تمكر وهم يداعبون
تهوى المحرمـــــات والمجون وهـم لهواك دائمـاً يصدقـون
يساعـــــدونك فى كل حين فإذا وقعت فى الحرام فهم لك محبون
تهوى وتتمنـــــــى وتشتهى وهـم جهـداً ينسوك المنـــون
يوقعـــونك فى كل رذيلـــة ويقولون إن التزمت ملعـون
كلمـــة داعبـوا بها هـــواك فـنسيت بها صدقـاً المنـــون
كل رذيلـة تبعـد عـــن الله ترتكب بحجة أن التزمت ملعون

وسريعاً أحباب المصطفى ﷺ تنتقل إلى الفصل الثانى .

الفصل الثانى

كيفية قطع الطريق على إبليس عليه لعنة الله
فى مسألة « تزيين الشر وتقبيح الخير »

إن هذا الطريق من طرق إبليس عليه لعنة الله من أخطر الطرق ولكنه لا يستطيع أن يوقع العبد فيه إلا إذا كان العبد يتوافر فيه شرطان أساسيان :

هذان الشرطان إذا توافرا فى العبد استطاع أن ينفذ إبليس ويمد طريقه كى يوقع العبد فى المحظور وهذان الشرطان هما :-

الأول : **الجهل** . **الثانى** : **اتباع الهوى** .

ولكى نشرح هذين الشرطين فسنستعرضهما واحداً تلو الأخر وليكن :-

الأول : **الجهل** : لعلنا إذا رجعنا سريعاً إلى أول الباب نجد أن الحديث الشريف ذو النفع الجليل والخير العظيم قد انبأ عن عابد من بنى إسرائيل أغواه الشيطان بطريقة تزيين الشر إلى أن وقع فى المحظور فلو دققنا النظر فهو قال عابد ولم يقل عالم لأن العالم بأمور دينه المتفقه لأحكام شريعته من الصعب جداً أن يساومه الشيطان ويزين له أمراً يعلم ذلك العالم أن آخر هذا الأمر هلاكه فلو تريث عابد بنى إسرائيل لعلم أن مجالسة النساء حرام وأنه ليس بالفعل الخير ولكنه لم يفطن هذا الأمر ولم يدركه نظراً لاقتصاره على العبادة وعدم تعلمه أمور الدين ولعلنا نذكر موقفاً قد حدث لأحد أفراد بنى إسرائيل ولكنه كان راهب أى عالم بدينه متفقه فيه يتمتع بكياسة العلماء ويعلم جيداً كيف يسد على إبليس مداخله ويقطع عليه طرقه وهذه القصة تروى لنا « كان راهب من بنى إسرائيل فى صومعته يتعبد فأراده إبليس فلم يقدر عليه فأتاه بكل رائدة فلم يقدر فأتاه متشبهاً بالمسيح ودار هذا الحوار . (**حوار مع إبليس**) .

قال إبليس : أيها الراهب أشرف على أكلمك .

قال الراهب : انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمرى .

قال إبليس : أشرف على أنا المسيح .

قال الراهب : إن كنت المسيح فما لى إليك حاجة ألست قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك فانطلق اللعين عنه وتركه »[1] هل نظرتم أحباب المصطفى ﷺ إلى رد الراهب أظن لو كان هذا هو العابد وقيل له أنا المسيح لخرج مسرعاً يهرول إليه ولكن سبحان الله هو العلم يتمتع به صاحبه فيتغلب به على إبليس وطرقه ويسد عليه مداخله وأبوابه ولعل إسلامنا الجميل قد نبه إلى هذا أو حث على العلم وأمر به ونوه إلى فضل العلم فى ميادين العبادة وأن العبادة إن خلت من العلم كانت ناقصة كالزهرة تخلو من الرائحة فلقد قال المولى عز وجل :

﴿ **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[2] أى هل يستوى أهل العلم ذو الفكر الناضج والعقل القويم والعمل الرشيد الذى يتبنى العلم وهدفه الطاعة إن العلماء ذو المكانة العالية لم يأخذوا تلك المكانة هباء ولكن أخذوها لأنهم أولوا فهم للدين فيستطيعون بأمر الله عز وجل دفع الوساوس والمكائد الشيطانية ومقاومة إبليس عليه لعنة الله وعبادة الله نعم العبادة بناء على علمهم وعملهم ولكن الذين لا يعلمون إن زادت عبادتهم وكثرت طاعتهم لا يعلمون كيف التصرف مع الفتن كيف يدفعون مكائد الشيطان كيف يقاومون طرق إبليس عليه لعنة الله لذلك أحباب المصطفى ﷺ لم تسو الآية الكريمة بين العالم ومن سواه ولقد قال المولى عز وجل أيضاً فى كتابه العزيز : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾[3] أى أن العالم إيمانه أشد من العابد لأن العابد يعبد بناءً على غير علم وتفقه أما العالم فيزداد كل يوم إيماناً عندما ينظر إلى الآيات ويفهمها ويتدبرها فيقول سبحان الله الذى خلق كل تلك الآيات فيزداد إيمانه نعم إن الإيمان يزيد كلما زاد علم الشخص بآيات ربه إذ أن الإيمان بأى شيء يزيد كلما أدركت الحقائق عن ذلك الشيء كذلك الإيمان بالله يزيد كلما تفكرت فى آياته وحكمه وعظاته وخلقه العظيم أظن أن العالم إيمانه يزيد والعابد لن يدرك تلك الآيات فأى

---

(١) تلبيس إبليس ص ٣١ .

(٢) الزمر : ٩ .   (٣) العنكبوت : ٤٣ .

طاعة بعد ذلك أيها القارىء الكريم تبغى طاعة عناء على الطاعة أما طاعة مزودة بنور العلم تدفع عنك وساوس الشيطان وتشد على إبليس عليه لعنة الله طرقه أظن أنك إن شاء الله ستختار طريق النور ألا وهو طريق العلم ولكى يكون كلامى مدعم بالأدلة أذكر الأدلة على العلم من السنة النبوية المطهرة فلقد قال المصطفى ﷺ : « **فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب** »[1] نعم يا حبيبى يا رسول الله فإن العلم نور والعابد فى ظلام إن لم يتنور بنور العلم حتى يرفع ظلمات الفتن إن نزلت به ويغلق أبواب إبليس إن فتحها عليه . وأيضاً قال المصطفى ﷺ : « **فضل العالم على العابد كفضلى على أونى رجل من أصحابى** »[2] فيا الله على فضل العلم يرق من شأن صاحبه حتى ينزل إلى منزلة الأنبياء . وأيضاً قال المصطفى ﷺ : « **ما عُبدَ الله تعالى بشىء أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شىء عماد وعماد هذا الدين الفقه** »[3] رغم ضعف هذا الحديث ولكنه يحمل كلمة ذات نفع عظيم وشأن تلك الكلمات تتركز فى قول المصطفى ﷺ « **ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد** » نعم إذا دققت النظر قليلاً ما فائدة العبادة بدون علم إن العالم الفقيه يقطع على الشيطان طرقه أما العابد فلا يعلم كيف يفعل ذلك بل هو فريسة سهلة ويسيرة فى يد إبليس عليه لعنة الله من الممكن بل من السهل أن يوقعه فى المعاصى إلا إذا شاء الله ألا يقع فيها أما العالم فهو يقظ متنبه لإبليس يعلم مكايده ووساوسه وطرقه فيقطعها عليه إذاً فعبادته أشد وأقوى من عبادة العُبّاد غير المتعلمين ورغم ضعف هذا الحديث أيضاً ولكنى سأذكر قولاً يؤيد ما سبق من كلامنا ألا وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما « للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام » ولعل الصحابة رضوان الله عليهم قد انتبهوا إلى فضل العلم بعد أن هداهم الله إلى الإيمان فسارعوا إليه وعملوا به ولعل هذا الكلام يوضح بصورة أجمل إذا ذكرنا رأى أحدهم فى العلم وليكن على بن أبى طالب رضى الله عنه حيث قال :

(١) حديث متفق عليه رواه الشيخان عن حديث معاوية والزيادة عند الطبرانى فى الكبير .

(٢) أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو بكر الآجرى فى كتاب فضل العلم وعند الترمذى وابن ماجة حديث عن ابن عباس بسند ضعيف .

« العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلق منه » وقال :

ما الفخر إلا لأهل العلم أنهم — على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه — والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا — الناس موتى وأهل العلم أحياء

وأظن أخى القارىء الكريم أن بعد قراءة هذا الكلام الطيب الذى سطره وكتبه لنا الصحابى الجليل على كرم الله وجهه لا يسعنى سوى أن أقول شىء واحد فلننتقل إلى الأمر الثانى فإننى إن بحثت عن كلام أطيب من هذا قيل فى العلم فلن أجد فلننتقل إلى الأمر الثانى بأمر الله عز وجل .

الأمر الثانى : اتباع الهوى : إن من الفتن التى شاعت فى عصرنا هذا اتباع الهوى فأصبح كل منا يريد تشريعاً يوافق هواه ولا يعارض ملذاته وشهواته وهذه الأمثلة كثرت فى عصرنا هذا ولعل إبليس عليه لعنة الله إذا أراد أن يدخل عن طريق **« تزيين الشر وتقبيح الخير »** فلن يجد أفضل من رجل أو امرأة كل منهما يسير على هواه دون رابط شرعى وضابط من قبل الدين بل كل منهم صار يقول هذا حرام وهذا حلال ما يره لهواه ومطابقة لملذاته وشهواته ولكي ندفع ونغلق هذا الباب على إبليس عليه لعنة الله يجب أحباب المصطفى ﷺ ألا نحكم فى أى مسألة إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة وإلا انطبق علينا قول المولى عز وجل : **﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ﴾**[1] والغى وادى فى جهنم والعياذ بالله من جهنم لذلك أخى القارىء الكريم إذا كنت بصدد أى مسألة شرعية فاتبع فيها قول السلف **« الأصل فى المسألة الشرعية التوقف إلا أن يظهر دليل من الكتاب والسنة »** وإن كنت ممن تحكم بهواك إذاً والعياذ بالله فانتظر الغى فهو يترقبك يا من تحكم بهواك ثم لنسمع ونقرأ سوياً تلك الأبيات الجميلة التى سطرها وكتبها لنا العالم العملاق البحر الفهامة الإمام ابن القيم قال :

فدع صاحب المزمار والدف والغنا — وما اختاره عن طاعة الله مذهبا
ودعه يعيش فى غيه وضلاله — على «ترلم»[2] يحيا ويبعث أشيبا

(١) مريم : ٥٩ .   (٢) ترلم : الصوت الخارج من المعازف .

ومن «ترلم» يوم الميعاد نجاته — إلى الجنة الحمراء يدعى مقربا
سيعلم يوم العرض أى بضاعة — أضاع وعند الوزن ما خف أو ربا[1]
ويعلم ما قد كان فى حياته — إذا حصلت أعماله كلها هبا
دعاة الهدى والغى من ذا يجيبه — فقال لداعى الغى : أهلاً ومرحبا
وأعرض عن داعى الهدى قائلاً له — هواى إلى صوت المعازف قد صبا
يراع ودف بالصنوج وشاهد — وصوت فعن صوته يقنص الظبا
إذا ما تغنى فالظباء تجيبه — إلى أن تراها حوله تشبه الدبا
فما شئت من صيد بغير تطارد — ووصل حبيب كان بالهجر عذبا
فيا أمرى بالرشد لو كنت حاضرا — لكان توالى اللهو عندك أقربا

أرجو من الله أن تكون تلك الأبيات التى ذكرها عالم السلف وعالمنا الإمام ابن القيم قد أوضحت وبينت أمر من يأخذ الدين بالهوى ولن اتطرق إلى شرح الأبيات نظراً لوضوحها وسهولة كلماتها ولكنى سأمضى سريعاً راجياً من المولى عز وجل أن يوفقنى فى شرح تلك الآية . يقول المولى عز وجل : **﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين * وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم ﴾**[2].

تفسير الآية الكريمة : قال الزمخشرى : « اللهو كل باطل ينهى عن الخير نحو السمر بالأساطين والتحدث بالخرافات المضحكة وفضول الكلام ومالا ينبغى »[3] وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه سئل فى الآية فقال : « والله الذى لا إله إلا هو يكررها ثلاثاً إنما هو الغناء »[4] وقال الحسن البصرى : « نزلت هذه الآية فى الغناء والمزامير »[5] أيا كان نوع هذا اللهو والضلال فإن ما يجب أن ننتبه إليه هو أن هذا اللهو والضلال عن أى شىء قد تولد وما تبعه فنجد رد المولى عز وجل **﴿ بغير علم ﴾** أى بجهل وثانياً : **﴿ إذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها ﴾** اتباع الهوى والشهوات فالآية الكريمة جاءت بما لا يهوى فاعرض

---

(١) ربا : أى زاد .
(٢) لقمان : ٦ - ٧ . (٣) الكشاف . (٤) الطبرى ٢١/٣٩ .
(٥) ابن كثير ٣ / ١٦٣ المختصر .

عنها واستكبر لذلك أحباب المصطفى ﷺ يجب أن نغلق على إبليس عليه لعنة الله هذا الباب ونعمل بأمرين « **العلم – وعدم اتباع الهوى** » وإلا انطبق علينا نص الآية وكان لنا ﴿ **فبشره بعذاب أليم** ﴾ أرجو من المولى عز وجل أن يدفع عنا عذابه وأن نعمل بكل كلمة أتت فى شرعه الحنيف بعلم لا بجهل ويجب ألا نكون اتباعاً للهوى .

الفصل الثالث

حوار مع إبليس حول
« تزيين الشر وتقبيح الخير »

قال القرشى : وسمعت سعيد بن سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال : لأقطعن هذه الشجرة فجاء ليقطعها غضباً لله فلقيه إبليس ودار بينهما هذا الحوار : قال إبليس : ما تريد ؟ قال الرجل : أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله .

قال إبليس : إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟ فقال الرجل : لأقطعنها . قال إبليس : هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عندوسادتك . قال الرجل : فمن أين لى ذلك ؟ قال إبليس : أنا لك .

فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً فقام غضباً ليقطعها فتمثل له إبليس فى صورته ودار هذا الحوار :-

قال إبليس : ما تريد ؟ قال الرجل : أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله .

قال إبليس : كذبت ما لك إلى ذلك من سبيل . فذهب يقطعها فضربه إبليس وخنقه حتى كاد أن يقتله .

قال إبليس : أتدرى من أنا ؟ قال إبليس : أنا الشيطان جئت أول مرة غضباً لله فلم يكن لى عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضباً للدينارين سلطت عليك . والشاهد فى تلك القصة مقولة من أحد

مقولات إبليس عليه لعنة الله وهى : « هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك » فهنا فى تلك المقولة يتضح كيف زين إبليس عليه لعنة الله الدينارين للرجل وهو ما نسميه « **تزيين الشر** » وقبح له فعل الخير « **قطع الشجرة** » لأنه أعلمه أنه لن يعود عليه بخير وأيضاً لن يضره فى شىء فقبح تلك الطريق إبليس عليه لعنة الله الخير للرجل حيث أنه لا يأتى بنفع إذاً فهو ليس بخير .

الباب الرابع

طريقته فى « خلط الفكرة »

هذا الباب قصير جداً ولكنه أيضاً غريب جداً بل يعتبر أغرب الأبواب حيث أن إبليس عليه لعنة الله يدخل من مدخل غريب وخطير وهو مدخل « **خلط الفكرة** » ومعنى كلمة خلط الفكرة أى قلبها وجعلها فى مكان غير مكانها الصحيح وحتى يكون كلامنا واضحاً لا غموض فيه أقترح أن نشرح ذلك الباب بالأمثلة :-

المثال الأول : فى أحد الأيام حزن رجل من المحافظين على الصلاة على صلاة الجماعة حزناً شديداً وبدأت طاعته تقل بشكل ملحوظ جداً وعندما سُئل قال أشعر وكأن الله غاضب على فقيل له ولماذا فلم يبين السبب أو يشير إليه ولكن وبعد فترة عرف السبب أتدرون ما هو : « لقد رأى فى المنام أنه يجامع أحد محارمه : أمه – خالته – عمته » لذلك ظن الرجل أن الله غاضب عليه وقد طرده من رحمته هل هذا هو تفكير الرجل لا والله إن إبليس عليه لعنة الله قد استخدم معه طريق « **خلط الفكرة** » فقال له : رأيت أنك تجامع أحد محارمك من النساء أن الله غاضب عليك كيف ترى هذا إنك طردت من رحمة الله وأصبحت من الخاسرين و .... و .... وأخذ يعدد له وهذا ما نسميه خلط الفكرة حيث أن رؤية جماع المحارم فى الأصل رؤية طيبة ولكن نظراً لجهل الرجل بعلم الرؤيا خلط إبليس عليه لعنة الله الأمر على الرجل وأفهمه الرؤيا بخلاف ما أرادت الرؤية ولكن عندما رجع هذا الرجل وأخبر أحد رجال العلم عن تلك الرؤيا قال له إن تفسير تلك الرؤية كالآتى : « من رأى أنه يجامع أحد محارمه فليعلم أنه سيحج إلى بيت الله الحرام »[1] وهنا وفى تلك اللحظة ابتهج الرجل وعادت طاعته تزيد لمعدل طيب لا بأس به وأخذ ومن جديد يحافظ على صلاة الجماعة . فيا الله على هذا الطريق من طرق إبليس عليه لعنة الله إنه فى نظرى من أخطر الطرق التى يسلكها إبليس عليه لعنة الله مع ابن آدم وحتى لا نقصر فى شأن هذا الباب نضرب مثالاً آخر

(١) تفسير الأحلام لابن سيرين .

حتى نعرف ونتبين وندرك كيف يقوم إبليس عليه لعنة الله بنصب طريق « **خلط الفكرة** » .

المثال الثانى :

كان هناك رجل أيضاً من المحافظين على الجماعة يشهد له الناس بالطاعة والولاء إلى الله وحب الخيرات والمسارعة فى طريق الخير ولكن جاءه إبليس عليه لعنة الله قائلاً له : من خلق كذا فقال الرجل الله فقال إبليس ومن خلق كذا فقال الرجل الله فقال له إبليس ومن خلق الله فقال الرجل « **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** » ولكن جاءه إبليس عليه لعنة الله بعد ذلك وأخذ فى عملية خلط الفكرة وقال له كيف تفكر فى ذلك هل رأيت أحد يفكر بتلك الطريقة لا . لابد أنك طردت من رحمة الله كيف تتجرأ وتتجاوز حدودك يا متعالى يا فاسق يا ... يا .... يا ... وأخذ يعدد له فحزن الرجل وقلت طاعته وبدا عليه الهم والضر ولكن فرج الله الهم عن ذلك الرجل عندما سأل أحد العلماء مسألته قائلاً له يا سيدى لقد رأيت كذا وكذا وفكرت فى كذا وكذا فقال له العالم : وماذا فى ذلك إنه أمر طبيعى جداً وقد حذر المصطفى ﷺ من ذلك وقال فى الحديث الذى رواه أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يأتى الشيطان أحدكم فيقول له : من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته** »[1] وقال الشيخ أيضاً للرجل : إن هذه الأشياء عارضة يتعرض لها أى إنسان فى حياته . ففرح الرجل فرحاً شديداً وعاد كما كان من قبل مسارعاً فى الخيرات محافظاً على الصلوات مكثر للطاعات يرجو لقاء رب الأرض والسموات . فيا الله على ذلك الشيطان اللعين ؟ انظروا كيف دخل إلى الرجل وقال له إن تفكيرك هذا لم يفكر به أحد من قبل وأخذ يهم الرجل ويحزنه حتى صرفه عن الطاعة وهنا أخى القارىء العزيز يجب أن نعلم كيف نغلق على إبليس عليه لعنة الله هذا الباب .

---

(١) حديث متفق عليه رواه البخارى ومسلم وعند البخارى فى كتاب بدء الخلق .

علاج مسألة « خلط الفكرة »

لو أننا دققنا النظر فى المثالين السابقين نجد أن الرجل الأول كان جاهلاً بأحكام الرؤيا والرجل الثانى كان جاهلاً ببعض الأحكام للعقيدة . لذلك فالجهل فى المثالين السابقين كان مدخل إبليس عليه لعنة الله والمدخل الثانى أن كلاهما ظن أنه هالك ولم يتريث ويرجع سريعاً إلى أهل العلم يستفتيهم فى مسألة أو يبحث عن إجابة لما هو فيه من وساوس ومصايد وهموم أعترته بسبب مسألته ولكن ماذا حدث عندما علم كل منهما تفسير رؤياه وفكرته فرح وسعد ورفع الهموم عن رأسه فلو أن كل إنسان رجع إلى أهل العلم وإلى الدين لوجد المخرج من كل هم والجلاء لكل حزن والغنيمة من كل خير لذلك فإن الطريق الذى يقطع على إبليس عليه لعنة الله طريقه فى مسألة « **خلط الفكرة** » يتمثل فى :

١ - إذا هم أحد منا خبر أو فكرة أو رؤية لا تسره ولا يعلم تفسيرها فعليه بالرجوع سريعاً إلى « **أهل العلم والدين** » حتى يجد عندهم الجواب الشافى للصدور وإلا كان فريسة لإبليس وما يطرحه من أفكار تعمل على خلط الأفكار .

الفصل الأول

طرقه فى « نسيان الحقائق الكبرى »

إن هناك حقاق كبرى يعمل إبليس على إخفائها ويحاول جاهداً أن ينسى ابن آدم تلك الحقائق ويجعله فى عزلة تامة عن تلك الحقائق نظراً لأن ابن آدم إن تنبه لها قلت معصيته وكثرت طاعته وكان فى خير حال وسلام من مكايد إبليس عليه لعنة الله هذه الحقائق الكبرى التى يحاول إبليس عليه لعنة الله أن يجعلنا فى غفلة عنها من أهمها ثلاثة أمور أرى أن نتعرض لها بأمر الله عز وجل عسى أن نعمل على حفظها وعدم نسيانها هذه الثلاثة أمور هى :

١ - الحياء من الله . ٢ - القبر .

٣ - الوقوف أمام الله يوم العرض .

إن إبليس عليه لعنة الله إن جعلك فى غفلة عن تلك الأمور استطاع أن يدفعك إلى المعصية بكل سهولة ويسر بلا جُهدٍ منه أو عناء وحتى لا أطيل عليكم فى بيان أهمية تلك الأمور بدون شرح وتفصيل وإفهام لكل أمر نبدأ بأمر الله عز وجل فى شرح وتفصيل كل أمر من الأمور الثلاثة :

الأمر الأول : (**الحياء من الله**) : إن إبليس عليه لعنة الله إذا استطاع أن يجعل ذلك الأمر بعيداً عنك استطاع أن يقودك إلى المعصية فإن العاصى لو انتبه لحظة واحدة وفكر فى الله لامتنع عن معصيته ولكن للأسف يعمل إبليس عليه لعنة الله جاهداً أن ينسيك تلك الفكرة ولنضرب مثالاً نوضح من خلاله هذا الكلام ومثالنا إن شاء الله عز وجل سيكون محوره قصة موسى عليه السلام وسحرة فرعون ولننظر ماذا حدث عندما انتبهوا إلى ذلك الأمر وفشل إبليس عليه لعنة الله أن ينسيهم أمر الحياء والقصة تتضح فى سورة « طـه » حيث قال المولى عز وجل : ﴿ **فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى * قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل**

ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى * قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا * إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى * إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى * ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى * جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾[1] إن المتأمل المتدبر فى تلك القصة القرآنية عظيمة النفع يجد أن السحرة قد علموا الأمور الثلاثة وهى الحياء من الله ، القبر ، الوقوف أمام الله يوم العرض لذلك لم يبالوا بقول فرعون ووعيده بالتصليب والتقتيل وكيف يخافون وقد لمسوا وأدركوا الحقائق الكبرى ولما يفلح إبليس فى أن يغيبها عنهم أو يجعلهم يغفلون عنها . نعم قد أوضحت القصة القرآنية الثلاثة أمور ولكننا بصدد الحديث عن « **الحياء من الله** » فرض أى موقف برز الحياء من الله يقال : « إن فرعون جمع من السحرة ألوفاً فقيل ثمانية آلاف وقيل أحد عشر ألفاً وقيل اثنا عشر ألفا »[2] ولكن كان من العجيب أن كبيرهم كان أعمى فأمسك كبيرهم هذا بيد أحد السحرة قائلاً له : هل عصا موسى لها « **رأس وبطن وذيل** » قال له : نعم ثم قال له الساحر الأعمى : « **وهل كلما لقفت كبر بطنها** » قال له : نعم فظل يردد الساحر الأعمى تلك الأقوال ثلاث مرات والساحر الآخر فى كل مرة يقول له نعم فقال الساحر الأعمى وكان كبيرهم : « **أيها السحرة استحيوا من الله فإن موسى على الحق** » يا الله كان هذا الساحر أعمى البصر ولكنه لم يكن أعمى البصيرة عمى بصره ولكن لم يعم قلبه وانتبه السحرة إلى مسألة الحياء من الله فطردت إبليس عليه لعنة الله وأبطلت عليه طرقه وخيبت أمله وردت كيده فى نحره ولكن سبحان الله فلقد كان حياء سحرة فرعون بعد ذلك نصب لهم الصلب ودعا لهم الموت فلم يتراجعوا وكيف يتراجع إنسان قد أدرك حقيقة الحياء من الله !!.

وأيضاً هناك قصة عظيمة توضح الحياء من الله وهى : « دخل لص فى ذات يوم على رابعة العدوية فلم يجد فى دارها شيء فهم بالانصراف فنظرت

---

(١) سورة طه من ٧٠ - ٧٦ الآية .

(٢) تفسير ابن كثير - صفوة التفاسير للصابونى .

إليه فقال لها لم أجد عندك شيئاً فاتركيني أرحل بسلام فقالت له وهل يجد العبد عند العبد شيئاً يا هذا توضأ واذهب إلى الله فإنك ستجد عنده الخير الكثير فتوضأ الرجل ثم دخل ليصلى فأغلقت عليه رابعة العدوية الباب وتركته حتى انتصف الليل فلما تأخر ظنته انصرف ففتحت عليه الباب فوجدته ساجداً وهو يبكى ويقول :

إذا مـــا قـــال لى ربى أمـــا استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيـــان تأتينـــى
فمـــا قـــولى لـــه لما يعاتبنـــى ويقصينـــى

فيا الله تنبه السارق أخيراً إلى مسألة الحياء من الله بعد أن ظل إبليس عليه لعنة الله يغفلها عن فكره سنوات ويوقعه فى المعاصى والذنوب والآثام .

ولعلنا بعد أن علمنا مدى حلاوة الحياء من الله وكيف يبعد الحياء من الله الإنسان عن المعاصى ويطرد إبليس ويغلق عليه أبوابه فكيف يتولد ذلك الحياء عند ابن آدم ؟ نرد ونقول وبالله التوفيق هناك قصة من أروع ما تعلمناه ترد على كل ذلك وهى قصة منشؤها عندما جاء رجل من المصرين على المعصية يسأل إبراهيم بن أدهم قائلاً له يا إمام كيف أتخلص من المعصية فدار هذا الحوار :

قال إبراهيم بن أدهم : إذا أردت أن تعصى الله فلا تعصيه على أرضه .
فقال الرجل : وكيف والأرض جميعاً ملكه ؟
قال إبراهيم بن أدهم : وإذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل من رزقه .
فقال الرجل : وكيف ولا رازق سواه ؟
قال إبراهيم : ألا تستحى أن تأكل من رزقه ولا تشكره بل تعصيه ؟
قال إبراهيم : وإذا أردت أن تعصى الله فلا تجعله يراك .
فقال الرجل : وكيف ؟ وهو يسمع ويرى ومطلع علينا فى كل حين .
قال إبراهيم : يا رجل ألا تستحى الله يراك وتعصيه وأنت تعلم أنه يراك .
قال إبراهيم : وإذا أردت أن تعصى الله فإذا جاءك ملك الموت قل له أفرغ عنى ساعة . قال الرجل : وكيف وقد قال المولى عز وجل : ﴿ **وإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون** ﴾ . قال إبراهيم : إذاً ألا تستحى أن يأتيك الموت وأنت على معصية فكيف تواجه ربك ؟

قال إبراهيم : وإذا جاء زبانية جهنم فقل لهم لا تدخلونى النار .

قال إبراهيم فى تلك اللحظة حكمته التى امتلأت بالعظات والعبر : يا رجل : « **تأكل من رزق الله وتحيا على أرضه ولا تستطيع رد أمره وإن عاقبك لا تدفع عقابه ألا تستحى من الله** » . ومن هذه القصة نستطيع أن نستخلص أن الحياء يتولد عندما تدرك عدة أمور منها :-

[١] الحياء عندما تدرك نعم الله عليك .

[٢] الحياء عندما تدرك أن الله مطلع عليك .

[٣] الحياء عندما تعلم أن ناصيتك بيد الله .

[٤] الحياء عندما تعلم أنك تعصى والله يسترك ألا تستحى من الستير .

وهناك قصة من أروع ما قرأت أذكرها لكم إن شاء الله لتكون ختاماً للأمر الأول وهو « **الحياء من الله** » . قال الحسن البصرى - رحمه الله - يوماً بينما أنا أطوف فى أزقة البصرة وفى أسواقها مع شاب عابد فإذا أنا بلغنا بطبيب وهو جالس على الكرسى بين يديه رجال ونساء وصبيان بأيديهم قوارير فيها ماء وكل واحد منهم يستوصف دواء لدائه .

فقال : فتقدم الشاب إلى الطبيب ، فقال الشاب : أيها الطبيب هل عندك دواء لغسيل الذنوب ويشفى مرض القلوب ؟ فقال الطبيب : نعم فقال الشاب : هات . فقال الطبيب : « خذ منى عشرة أشياء : خذ عروق شجرة الفقر مع عروق شجرة التواضع واجعل هليلج التوبة واطرحه فى هاون الرضاء واسحقه بشجار القناعة واجعله فى قدر التقى وصب عليه ماء الحياء ، وأغله بنار المحبة واجعله فى قدح الشكر فإنك إن فعلت ذلك فإنه ينفعك من كل داء وبلاء فى الدنيا والآخرة »[1].

« القبــر »

« وهو الأمر الثانى »

لعل هذا الأمر ليس بأقل خطورة من الأمر السابق له ولعل الكثير غفل عنه وأصبح لا يعمل له حتى أن أحد علماء السلف قال : « يا لله على حال

(١) هذه القصة منقولة عن كتاب « الاستعداد ليوم المعاد » لابن حجر العسقلانى .

الأمة . زينوا الدور وبنوا القصور ونسوا القبور . ويوم النشور وأصبحوا يمرحون فى سرور ويزين لهم إبليس الشرور .

أو لم يــزل فى غفلـــة حتـى دنـا منـه الأجـل
الموت يـــأتى بغتـــة والـقبر صنـدوق العمـل
أصبر على أهـــــوالها لا مـوت إلا بالأجـل

وقد انتبه علماء السلف الصالح إلى هذا الأمر فلم يغفلوا عنه وأغلقوا على إبليس طرقه فى مسألة طول الأمل ولنستمع إلى أحد علماء السلف الصالح وما قال فى هذا الشأن :

عن حاتم الأصم[1]: ما من صباح إلا ويقول لى الشيطان ما تأكل ؟ وما تلبس ؟ وأين تسكن ؟ فأقول له : آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر . هذا هو أحد علماء السلف الصالح رحمة الله عليهم قد حاول معه إبليس ولكن للأسف خذل ولم يستطع أن يوقعه كما يوقع الكثيرين من عصرنا هذا فلعلنا أحباب المصطفى ﷺ ننتبه إلى هذا الطريق من طرق إبليس عليه لعنة الله ولا تغتر بالدنيا وطول الأمل .

ونختم هذه المسألة بثلاث أحاديث عن المصطفى ﷺ :

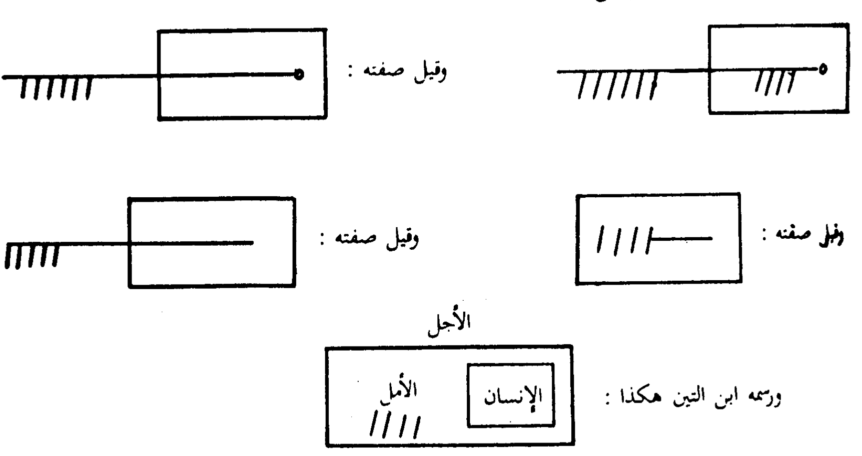
الأول : حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« لا يزال قلب الكبير شاباً فى اثنتين : فى حب الدنيا وطول الأمل »**[2].

الثانى : حديث أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان : حب المال وطول العمر »**[3] قال القرطبى : « فى هذا الحديث كراهة الحرص على طول العمر وكثرة المال وإن ذلك ليس بمحمود » وأختم إن شاء الله بالحديث الثالث الذى أرجو أن يكون عظة وعبرة لنا أحباب المصطفى ﷺ : **الثالث** : حدثنا مسلم حدثنا همام عن إسحاق ابن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك قال : خط النبى ﷺ خطوطاً

---

(1) حاتم الأصم : من الزهاد الأوائل هكذا أثنى عليه ابن حجر العسقلانى .
(2) حديث رواه الشيخان البخارى ومسلم وعند البخارى فى كتاب الرقاق .
(3) نفس المرجع السابق .

فقال : « **هذا الأمل وهذا أجله فبينا هو كذلك إذ حياءه الخط الأقرب** »[1] وقيل صفة الخط هكذا :



وهذا يعنى أن الإنسان يراضى فى أجله ويظهر أنه طويل هذا أما يزينه إبليس عليه لعنة الله فلا يستعد للقاء ولكن للأسف تدركه المنية وهو فى عمر لم يكن ليحتسب أبداً أنه سيلقى ربه فيه فتذكروا واتعظوا يا أُولى الألباب ولا تجعلوا إبليس عليه لعنة الله يقودكم إلى طريقه فى مسألة « **طول الأمل** » .

الأمر الثانى : « رجاء رحمة الله ونسيان عقابه » :

هذه هى الطامة الكبرى التى نواجهها كل يوم فى حياتنا المعاصرة فإنك إن جئت تنصح أى شخص يقول لك إن الله غفور رحيم يا الله هل ترتكب المعصية بحجة أن الله غفور رحيم وإذا جئت لتقول له القبر وأهواله والقيامة والنار و ... و .... يقول لك إن الله يغفر الذنوب جميعاً وهو أعلم بما فى قلوبنا فإن قلوبنا بيضاء والله غفور رحيم .

وللرد على هؤلاء الناس نقول لهم إن إبليس عليه لعنة الله قد أنساكم حقيقة القبر وأنساكم أن رحمة الله عز وجل بالعمل وأنساكم قول المولى عز وجل : ﴿ **اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم** ﴾[2] إن الله رحيم ولكن هل يرحم أهل السوء هل يساوى من عمل مع من لا يعمل إن رحمة الله إن قربت لا تقرب إلا من العبد الذى يحب الله والعبد الذى يحب الله

---

(١) البخارى كتاب الرقاق . (٢) المائدة : ٩٨ .

لا يحبه بقول « لا إله إلا الله » إن المحب يتقرب من الحبيب بالعمل والطاعة . انظروا إلى قول أحد المحبين لله ولكن المحبين الصادقين الذين يعملون كل حين على إرضاء الله رب العالمين وهو إمام السلف الصالح الإمام ابن قدامة حيث قال : لو علمت أن الله تقبل منى ركعة واحدة لتمنيت بعدها الموت فسألوه ولِمَ يا إمام ؟ قال : أو لم تعلموا قول المولى عز وجل : ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ فلنرجع إلى أنفسنا أحباب المصطفى ﷺ ولنغلق على إبليس طرقه ولنتذكر كيف نستطيع أن نتقرب إلى الله حتى ننجو من عقابه ولا نرتكن إلى رحمته فيقل عملنا وتكثر معاصينا وننسى أن القبر لا جليس ولا ونيس ولا منجى منه إلا العمل رجاءًا من الله أن يتقبله ويتغمدنا فى رحمته .

الأمر الثالث :

تزيين القبـور

هذه هى الحقيقة المؤلمة ولكنها أيضاً مضحكة فقد رأينا فى عصرنا هذا أمراً عجيباً وغريباً بل غاية فى الغرابة رأينا قبوراً تشبه القصور امتلأت بالأنوار والزينة وتكثر تلك المسألة عند الأغنياء من القوم ولعلى اسأل هل هذا ينجى الميت أم أنكم تريدون أن تذهبوا رهبة القبر وتغفلوا عن الحقيقة وأنه لا يعمر القبر بالزينة ولا بالأنوار لا والله ولا يعمر وإن جعلتموه جنة تضعون فيها موتاكم والله إن ما يعمر القبر العمل الصالح وحب الله والخوف من عقابه والمسارعة إلى العمل للقائه هذا ما ينير القبر ولعلى أقول إلى الأغنياء والذين بنوا من القبور قصوراً لا تجعلوا إبليس يُذهب من قلوبكم رهبة القبر وينسيكم حقيقته بما تفعلون فيه من زينة وأنوار وبناء واسمعوا إلى قول الشاعر :

أرى أهل القصور إذا أميتوا ... بنوا فوق المقابر بالصخـور
أبـوا إلا مباهـاة وفخـراً ... على الفقراء حتى فى القبور
لعمرك لو كشفت التراب عنهم ... فما تدرى الغنى من الفـقير
ولا الجلد المباشر ثوب صوف ... من الجلد المباشر للحريـر
إذا أكل الثرى هذا وهـذا ... فما فضل الغنى على الفـقير[1]

(١) نقلت هذه الأبيات من كتاب التذكرة للعلامة القرطبى .

وأختم تلك المسألة قائلاً : إن ما ينير القبر العمل لا زينته فإن من بداخل القبر لا تنفعه الزينة وإنما هو عمله وهذا القول من تفسير قوله عز وجل : ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم** ﴾[1].

الأمر الثالث والأخير :

(الوقوف أمام الله يوم العرض)

إن إبليس عليه لعنة الله يحاول أن يجعلك يا فصيح اللسان وعظيم البيان يا أفضل من تحدث الناس وتراوغ المراوغ وتغلب الحكماء وتتحدى العلماء أن ينسيك أنك ستقف أمام العالم الأكبر السميع البصير يوم يسكت لسانك وتشهد أعضاؤك على ما كان من أفعالك يوم يسكت لسانك الفصيح وتنطق أعضاؤك بالصحيح إن أنساك هذا إبليس عليه لعنة الله دفعك إلى الوقوع فى المحارم دون شعور لأنه أغفلك عن حقيقة كبرى أنك ستقف أمام علام الغيوب من يطلع على سرك قبل جهرك فإن العاصى إذا تدبر تلك الحقيقة لم يعص الله أبداً واكتفى فى هذا الأمر بأن أذكركم ونفسى بقول المولى عز وجل : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد * وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد * ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد * وقال قرينه هذا ما لدى عتيد * ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد * مناع للخير معتد مريب * الذى جعل مع الله إلٰهاً آخر فألقياه فى العذاب الشديد * قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد * قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد * ما يبدل القول لدى وما أنا بظلَّامٍ للعبيد** ﴾[2]. هذه الآيات الكريمات توفى بالغرض فى مسألة « **الوقوف أمام الله يوم العرض** » إذ أنها شرحت وبينت أن أمر الحساب مبنى

(١) سورة المؤمنون (١٠٢ - ١٠٣) .
(٢) سورة ق : ١٦ - ٢٩ .

على علم الله ومعنى ذلك أن الإنسان لن يستطيع أن يناقش أو يجادل أو يلقى بالحجج وكيف يلقى بالحجج أمام علام الغيوب ولكن إبليس عليه لعنة الله يحاول أن يجعله غافل عن تلك الحقيقة حتى يدفعه إلى الهلاك ويسوقه إلى معصية الله دون خوف أو تردد .

وأخيراً نقول اعلموا أحباب المصطفى ﷺ أمام من ستقفون يوم العرض يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم تشيب له الولدان وتنهار منه الأبدان ولا ينفع فيه الأهل ولا الخلان يوم تقف أمام الحليم المنان فإما يرضى ويدخلك الجنان وإما يسخط ويغضب وتلقى فى النيران وهذا برحمته وعلمه سبحانه الواحد العلام .

الفصل الثانى

كيفية قطع الطريق على إبليس فى مسألة « نسيان الحقائق الكبرى »

إن إبليس عليه لعنة الله يحاول جاهداً أن ينسى ابن آدم الحقائق الكبرى التى إذا تربعت فى قلب ابن آدم كانت له عماراً لقلبه بالإيمان ونوراً لطريق الجنان ورضى للرحمن أما إن خوى القلب من الحقائق الكبرى كان ابن آدم لطريق المعصية كان وللشيطان حبيباً ومن النار قريباً ولكى نقطع على إبليس عليه لعنة الله طريقه فى **« نسيان الحقائق الكبرى »** علينا بأمر الله عز وجل أن نفعل أمرين كما فعل علماء السلف الصالح من قبلنا وهذان الأمران هما :

[١] كثرة ذكر الحقائق الكبرى فى اليوم والليلة .

[٢] مجالسة أهل الذكر الصالحين .

ونشرح بفضل الله عز وجل الأمرين عسى الله أن ننتفع بهما ويكونا طريقنا إلى الله ورضاه وجنته ويبعدانا عن غضب الله ونيرانه .

الأمر الأول :

كثرة ذكر الحقائق الكبرى

قال الدقاق أحد علماء السلف الصالح : « من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، قناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء : تسويف التوبة ، وترك الرضى بالكفاف ، والتكاسل فى العبادة ، فتفكر يا مغرور فى الموت وسكرته وصعوبة كأسه ومرارته فيا للموت من وعد ما أصدقه ومن حاكم ما أعدله وكفى بالموت مفرجاً للقلوب ، ومبكياً للعيون ومفرقاً للجماعات ، وهادماً للذات ، وقاطعاً للأمنيات ، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك وانتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرك الأخ والصديق وأخذت من فراشك وغطاءك إلى عرين وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر فيا جامع المال والمجتهد فى البنيان ليس لك والله من مال إلا الأكفان بل هى والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب فأين الذى جمعته من المال ؟ فهل أنقذك من الأهوال ؟ كلا بل تركته إلى من لا يحمدك ، وتقدمت بأوزارك على من لا يعذرك »[1].

هذا الكلام الطيب المبارك الذى خرج من عالم السلف الصالح « **الدقاق** » لم أقوله هكذا جزافاً ولكن لكى نتعظ به ونعلم كيف كان أهل السلف الصالح دائماً فى كل لحظة من اللحظات يذكرون الموت وينشغلون به ويعملون له فقطعوا على إبليس عليه لعنة الله طريقه فكيف يدخل إبليس عليه لعنة الله عن طريق « **نسيان الحقائق الكبرى** » لرجل دائم الذكر لها منشغل بها قولى لهم بالله عليكم كيف يستطيع إبليس أن يدخل لرجل كهذا . إن إبليس عليه لعنة الله إذا أراد أن يدخل من هذا الباب اختار رجلاً مناسباً دائماً لذكر الدنيا انشغل بأهله وماله وعياله فنسى بعض الشىء الموت فيدخل إبليس عليه لعنة الله ليكمل ويجتهد عليه ونسيه القدر الباق فى رأسه . وهذا ما نعانيه فى عصرنا هذا إلا عند من رحم ربى وأنعم الله عليه ولكنه بفضل الله عز وجل كان بصورة قليلة عن الأقوام السابقة عند أهل السلف الصالح فما وجدنا لهم أمراً يعملون

(1) هذه المقولة الرائعة من كتاب التذكرة للعلامة القرطبى .

فيه ويبقون على الدنيا وما فيها واقرأوا معى تلك القصة حتى تكون خير دليل وبرهان : « كان هناك بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة قائلاً : الرحيل الرحيل . فلما توفى فقد صوته أمير المدينة فسأل عنه فقيل : إنه قد مات فقال الأمير :

ما زال يلهج بالرحيل وذكره حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظاً متشمراً ذا أهبة لم تلهه الآمال

يا الله إن حاكم المدينة كان ينعم بذلك الرجل الذى يكثر من ذكر الموت ويقول « **الرحيل** » وكان الرجل دائماً يذكر الموت الأمة وأميرها فى ذكر دائم لهادم اللذات ومفرق الجماعات والكأس الذى يشربه كل الناس للقاء رب الناس . ولننظر أيضاً إلى إبراهيم بن أدهم وما نقل عنه وعن كثرة ذكره للموت نعم إن العبد الحقيقى الذى يريد رضاء ربه وقطع الطريق على إبليس عليه لعنة الله عليه أن يكثر ذكر الموت وليعمل بكلام إبراهيم بن أدهم وهو « عندما سئل بما وجدت الزهد ؟ قال : وجدته بثلاثة أشياء : رأيت القبر موحشاً وليس معى مؤنس ورأيت طريقاً طويلاً وليس معى زاد - ورأيت الجبار قاضياً وليس معى حجة » وأظن بفضل الله عز وجل بعد تلك المقولة أننا نستطيع أن نقول رحم الله علماء السلف الصالح تمسكوا بالكتاب والسنة فسعدوا وأكثروا من ذكر الموت ففازوا وأرجو من المولى عز وجل أن نعمل كما عملوا وأن ننهج ما نهجوا ولنضع نصب أعيننا حديث المصطفى ﷺ : « **أكثروا من ذكر هادم اللذات** »[1].

الأمر الثانى :

مجالسة أولى الذكر الصالحين

إن الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً كانوا إذا جلسوا فى مجلس أكثروا من ذكر الموت حتى نقل عنهم : « كنا نقعد مع على كرم الله وجهه فنذكر الجنة والنار وما فى النار من أهوال فلا يبكى فإذا ما ذكرنا القبر بكى حتى يكاد أن يغشى عليه فسألنا لِمَ كل هذا ؟ نذكر النار وما فيها من أهوال

---

(١) النسائى عن أبى هريرة وأخرجه ابن ماجة والترمذى أيضاً .

فلا تبكى وتبكى عند ذكر القبر هذا البكاء ؟ قال : « **إن القبر أول منازل الآخرة فإن صلح صلح ما بعده وإن فسد كان ما بعده أمر وأدهى** » هكذا كان فعل الصحابة رضوان الله عليهم ثم التابعين وكان أهل السلف الصالح لا يملون من ذكر الموت والقبر لكى ترق القلوب وتطهر من المعاصى والذنوب والآثام وتعمل لرضى المولى العلام . ولعلنا نوضح لماذا نجالس أهل الذكر . إننا نتذكر الموت بمفردنا فترق القلوب ونعمل لرضى علام الغيوب ونقلع عن العيوب فلماذا نجالس أهل الذكر فلنذكر الموت بمفردنا ؟ نقول والله هو الموفق إن الأصل فى كثرة العبادات وزيادة الطاعات فعل الجماعات لأن فعل الواحد قليل واجتهاد إبليس على الواحد سهل يسير وعلى الجماعة أمر غير يسير وحتى أننا إذا دققنا النظر قليلاً فى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية نجد أن فعل التقوى والإيمان والإحسان والصلاح والرشاد مقرون بذكر الجماعة لا بذكر الفرد الواحد ولننظر مثلاً إلى مثال واحد وليكن قوله تبارك وتعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾[1] إن أصل المسائل العبادة وزيادتها ونموها لا يتولد إلا من فضل الجماعة فإننا بأمر الله عز وجل إذا أردنا الإكثار من ذكر الحقائق الكبرى حتى لا نغفل عنها ونكون فريسة لإبليس عليه لعنة الله فعلينا بمجالسة أهل الذكر الصالحين الذين يكثرون من ذكر الموت والعمل له وأرجو من الله تبارك وتعالى فى نهاية كتابى هذا فى هذا الفصل أن أعمل وإياكم أحباب رسول الله ﷺ بما فيه نظراً لما فيه من فوائد عظيمة والله الموفق .

الفصل الثالث

حـوار مع إبليس

هذا الحوار هو ختام لهذا الكتاب الذى أرجو من المولى عز وجل أن ينفع به المسلمين وأن يضعه فى ميزان حسناتى آمين . وهذا الحوار قررت بفضل الله عز وجل أن أضعه فى نهاية الكتاب نظراً لأنه يبين ويوضح لنا أمراً عظيماً ألا وهو : من يحب ومن يكره « **إبليس عليه لعنة الله** » ؟

(١) سورة المائدة : ٢ .

إن إبليس يحب بعض الناس وهؤلاء الناس بدون أدنى شك من باعوا بغضب الله ويكره إبليس أيضاً بعض الناس وهؤلاء وبدون شك هم المقربون إلى المولى عز وجل.

لذلك أحباب المصطفى ﷺ أردت أن أختم هذا الكتاب للتواضع بهذا الحوار عظيم النفع. ومصدر هذا الحوار كتاب «**الاستعداد ليوم الميعاد**» للإمام علامة عصره ومحدث زمانه والنابغة فى أوانه وبعد أوانه الإمام ابن حجر العسقلانى.

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم لإبليس عليه لعنة الله: «**كم أحباؤك من أمتى؟**» قال: عشرة نفر أولهم: الإمام الجائر والمتكبر، والغنى الذى لا يبالى من أين يكتسب المال وفى ماذا ينفقه، والعالم الذى صدق الأمير على جوره والتاجر الخائن والمحتكر، والزانى، وآكل الربا والبخيل والذى لا يبالى من أين يجمع المال وشارب الخمر مدمن عليها» ثم قال المصطفى ﷺ: «**كم أعداؤك من أمتى؟**» قال: عشرون أولهم أنت يا محمد فإنى أبغضك. والعامل بالعلم، وحامل القرآن إذا عمل بما فيه، والمؤذن لله فى خمس صلوات، ومحب الفقراء والمساكين واليتامى وذو قلب رحيم والمتواضع للحق، وشاب نشأ فى طاعة الله تعالى وآكل الحلال والشابان المتحابان فى الله والحريص على الصلاة فى جماعة والذى يصلى بالليل والناس نيام، والذى يمسك نفسه عن الحرام، والذى ينصح (وفى رواية: يدعو للأموات) وليس فى قلبه شىء، والذى يكون أبداً على وضوء وسخى وحسن الخلق والمصدق وبه بما ضمن الله له، والمحسن إلى مستورات الأرامل، والمستعد للموت».

إن هذا الحديث بفضل الله عز وجل ورحمته قد أوضح لنا خير من فى الأمة وشر من فيها فشر من فيها الرجل الذى يحبه إبليس ويكون من العشرة الأوائل.

وخير من فيها هو الرجل الذى يكرهه إبليس ويحرص على أن يكون من العشرين الأواخر فى الحديث.

وأخيراً أرجو من المولى عز وجل أن نكون ممن كرههم إبليس وممن يرضى الله عليهم آمين.

المراجع

القرآن الكريم
١ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى
٢ - صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى .
٣ - سنن الترمذى أبو عيسى .
٤ - سنن أبى داود السجستانى .
٥ - سنن النسائى أبو عبد الرحمن .
٦ - التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى .
٧ - التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة « القرطبى » .
٨ - الروح لابن القيم .
٩ - تفسير ابن كثير .
١٠ - تلبيس إبليس (لابن الجوزى) .
١١ - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية .
١٢ - تفسير الأحلام لابن سيرين .
١٣ - الداء والدواء لابن القيم .
١٤ - حقائق الإسلام وأسراره لابن العباس .
١٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن .
١٦ - المسند للإمام أحمد بن حنبل .
١٧ - الكشاف .
١٨ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى .
١٩ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان محمد فؤاد عبد الباقى .

الفهرس

الموضوع | الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٣/٨٧٧٧

الترقيم الدولى ٩٧٧-٥٣٨٧-٣٤-٩